هشام خضر

أشرف مروان قاهر الموساد



مكتبة النافذة

أشـــرف مـــروان
قاهر الموساد

تأليف

هشام خضر

الناشر

مكتبة النافذة

أشرف مروان قاهر الموساد

تأليف: هشام خضر
الطبعة الأولى: 2007
رقم الإيداع 16822/ 2007

الطباعة

دار طيبة للطباعة - الجيزة

الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسئول: سعيد عثمان

الجيزة ٢ شارع الشهيد أحمد حمدى

الثلاثينى (ميدان الساعة) - فيصل

تليفون وفاكس: ٧٢٤١٨٠٢

alnafezah@hotmail.com

مرثية حب

إلى الدكتور أشرف مروان

قل جاء الحق وفر الباطل

حين ولدتم يا مروانْ

واليوم شعارك بحر الحب

بلا أعماقٍ أو شطآن

فقصيدة حبي يملؤها

تغريد من هذا العنوان

عنواني أنت فطِبْ نفسًا

بالله عليك الشعب يهان

والنور الضائع خلف الشوك

يلملم أزهار البستان

***

قد غبت كثيرًا كالشعراء

وكالزهاد وكالرهبان

واحتاج الشعب الغارق أن

تنجيه هناك بلا استئذان

واصطفَّ الخلق جميعًا حولك

حين يكون الموج جبان

وعلت صرخات الظلم الجاثم
خلف شراع من جِزْمان
وارتاحت كل الأعين حين
رأتك تحارب ألسنة النيران

* * *

من كان يصدق أن النصر
على عتباتك يا مروان
لو يعلم أن هذا الشعب الفارق
أنك في الدنيا قبطان
لو يدرك أن الظلم قديم
جدًا جدًا في الإنسان
ما استنقذ أن تأتيه الرحمة
بعد فوات من شيطان
ما استعذب رفع لواء
الثورة للكهان قُبَيّلَ الآن

* * *

فاليوم وقفنا كي نقضي
بالحق على عنق الطغيان
ونعيد الدنيا طائعة
ونزلزل أركان العصيان

ونصون كرامة أمتنا

وسنقهر موساد العدوان

أشرف مروان سيعلنها

أوراق الحب بلا أوطان

* * *

يا سيف الحق الباتر حقًا

جئنا من كل الأزمان

لا تسأل كيف يعش الحب

على شفتيَّ بلا سجّان

هل يعجز قلب عن نبضٍ

يأتيكم من خلف القضبان

برسالة حب لا تفنى

ستحطم أسوار النسيان

لا يُسْأل طفل عن ذنبٍ

هل يُسْأَل في يوم الغفران؟!

* * *

بطموح العالم كنت تصارع

ظلمًا يصعد كالبركان

بالروح فداؤك يا أشرف

بدمانا ستعبر يا مروان

فعليك سلامٌ يا أشرف

ما غنّى الطير على الأغصان

نسيانك كفْرٌ يا أشرف

والفضل عليك من الرحمن

شعر الدكتور / السيد خلف

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

٠٢٣٣٣٠٤٥٣٥ - ٠١٠٢٥٣٤٥٧٥ - ٠٥٠٦٥٠٣٢٦٦

lovepoet-1982@yaho.com
dr.sayedkhalaf@hotmail.com

إهداء

إلى كل من سولت له نفسه وظن أن أشرف مروان يمكن أن يكون عميلا وجاسوسا يعمل لصالح جهاز الموساد الإسرائيلي.....

لا أظن أن هناك أبلغ من رد الرئيس حسني مبارك على تلك المهاترات والافتراءات التي روجتها الاستخبارات الإسرائيلية وصدقتها أذنابها في بعض صحف القاهرة الخاصة والمستقلة أو إن شئت الدقة - المستغلة

لقد قال مبارك بالنص قبل تشييع جنازة البطل الوطني أشرف مروان:

«هو كل ما حد يشتغل لصالح مصر نقول عليه جاسوس»؟!!

هكذا قال الرئيس مبارك موجها حديثه لرأس الأفعى في تل أبيب وذيلها في بعض نشرات أو صحف القاهرة...

ولعله بتلك العبارة العفوية البسيطة قد خابت ظنونكم وطاشت سهامكم وعاد بصركم خاسئا وهو حسير!!

هشام خضر

مقدمة الكتاب

لم يكن أشرف مروان لغزا كما أشاع البعض عنه لكنه كان رجلاً كتوما، قليل الكلام.. لا يتحدث بجملة كاملة إلا إذا أراد هو ذلك..

في الواقع كان كتابا مفتوحا لمن أراد أن يقرأه ويفهمه حيث كانت أنشطته وأعماله معروفة للقاصي والداني ويستطيع أي شخص معرفة نشأة أشرف مروان وكيف كان وكيف أصبح ومتى بدأ و أين انتهى؟

لقد خاض الدكتور محمد أشرف أبو الوفا مروان حروبا شرسة وعنيفة وحادة منذ أن ظهر على خشبة المسرح ليتقدم رسميا لخطبة ابنة رئيس الجمهورية الآنسة منى جمال عبد الناصر التي بادلته حبا بحب بلغ به حد الجنون وانتهى بها إلى حد الهوس به بشخصيته الفذة التي سحرتها وجذبتها وتمسكت به زوجا وحبيبا صحيح أن الدكتور أشرف مروان كانت حياته مليئة بالصخب والضجيج والإثارة والقلق وصراعاته مع خصومه الذين صبوه العداء عقب إظهار ولائه وانتمائه للرئيس أنور السادات أثناء صدامه الشهير مع مراكز القوى كما اشتدت الهجمات عليه عقب صعوده أعلى درجات سلم المجد والقمة والشهرة والتألق والنفوذ حيث بات الرجل القريب والوثيق الصلة مع الرئيس أنور السادات وبات ابنه أو طفله المدلل حتى أطلق عليه الصحفي الكبير علي أمين لقب «الطفل المعجزة»

كان أشرف مروان قد تدرج في مناصبه حتى أصبح المبعوث الشخصي للرئيس

أنور السادات وقد قام بالعديد من المهام العلنية والسرية والتي لا يستطيع كائن من كان القيام بها كما تولى هو أداءها نظرا لجسارته وشجاعته ومهارته وذكائه وما يتحلى به من عزيمة واقتدار وقدرة على مواجهة الصعاب والتحديات.

بعد أن أصبح أشرف في قمة المجد والشهرة والنفوذ تكالبت عليه الأقلام كالسكاكين تقطع في لحمه الحي وتتلذذ في الشراب من دمائه حتى ضاق الرجل ذرعا بعد أن فاض منه الصبر.

وعلى أثر ذلك قرر الرجل الرحيل والهجرة إلى لندن للعمل في مجالات الاستثمار العقارية وغيرها من كافة ألوان الاستثمار المنتشر في بريطانيا وأوربا بيد أن الصراعات لاحقته كما هي العادة حيث خاض حربا ضروسًا مع آل الفايد الذين ناصبوه العداء حتى الرمق الأخير.

وهكذا عاش أشرف مروان رغم ما عرف عنه من حب الخير والعطاء والوفاء لبلده مسكونًا مشحونًا بالصراعات والنزاعات حيث طاردته الأحقاد أينما كان.

لكن جاء خبر العلاقة بينه وبين الموساد الإسرائيلي كالقشة التي قصمت ظهر البعير حيث اعتبر أشرف هذا الاتهام الذي روجته الصحافة الإسرائيلية وأشاعته بعض الصحف المصرية على اعتبار أنه عميل يعمل لحساب إسرائيل كان بمثابة طعنة في سويداء قلبه، حيث كان يأمل ألا يتعرض أحد لهذا الملف حرصًا على خطورة ودقة ما يحمله من أسرار تتعلق بأمن مصر القومي حيث كان يعمل بالفعل لحساب مصر ولصالحها ضد إسرائيل على عكس ما أراد البعض أن يزعم ويدعي.

على أية حل سيظل أشرف مروان مهما روج هؤلاء الصهاينة وأذنابهم في مصر الرجل الذي استطاع بذكائه أن يقهر جهاز الموساد الإسرائيلي شاء من شاء وأبى من أبى..

هشام خضر

الفصل الأول

أشرف مروان

النشوء والارتقـــاء

منذ أن اقترن أشرف مروان بالزواج من الآنسة منى الابنة الصغرى للرئيس جمال عبد الناصر وقد أصبح ملء السمع والبصر، ومحط اهتمام كافة أدوات ووسائل الإعلام، أصبح آنذاك نموذجًا يثير خيالات الشباب وحماستهم، ويداعب أحلامهم حيث كانوا يترقبون منحنى صعوده نحو المجد والتألق بين حاسد وطموح.

الواقع أن الرجل عاش طوال سنوات عمره يعشق الحياة ويقدس العمل ويجيد تكوين العلاقات والصداقات الاجتماعية فضلاً عن براعته في فنون المغامرة والمخاطرة بقلب جسور وأعصاب من فولاذ.

وكان الرجل يتمتع بين الجميع بالحزم والقوة والشجاعة والصلابة إلى جانب تميزه بالتواضع ودماثة الخلق والعطاء والكرم والشهامة، ومن ثم لم يكن مستغربًا

أن يحظى بلقب (عمدة العرب) في العاصمة البريطانية لندن وذلك تماشيًا مع الأيادي البيضاء وعطائه المتدفق وسخائه المنهمر لأبناء الجالية العربية ولا سيما أبناء مصر المغتربين.

صحيح أن البعض في مصر راح يزعم أن أشرف مروان عاش غامضًا ورحل عن الدنيا في ظروف أشد وأعمق غموضًا، وأنه كان يمشي طوال سنوات عمره على حد السيف، وكثيرًا ما قامر بحياته بالجري على حبل مشدود بين القاهرة وتل أبيب أحيانًا ،والقاهرة ولندن في أغلب الأحيان.

لم تقف الأمور عند هذا الحد، بل راح بعضهم يقسم بأغلظ الأيمان أن الرجل كان عصبي المزاج، كثير العراك والشجار، والاشتباك مع الآخرين حتى وإن أدى الأمر لإلحاق الأذى بالذباب الذي يتطاير من حوله إذا لم يجد من يعترك معه، بل راح أحدهم يزعم أن قبره سوف يزخر ويمتلئ بالأسرار والألغاز والخبايا والخفايا التي عاش محتفظًا بها لا يعرف حقيقتها كائن من كان مهما تعاظم شأنه.

واقع الحال أن الرجل لم يكن كما أشاع البعض عنه أنه لغز غامض يستعصي عليهم فك شفرته، بل كان على عكس تلك الأباطيل والأقاويل كتابًا مفتوحًا يتسنى للجميع مطالعته.

صحيح أن هناك غموض في أحد فصول هذا الكتاب تعمد الرجل أن يحيطه بجدار حديدي مكهرب مصنوع من السرية لأسباب أظنها وثيقة الصلة بالأمن القومي، ومصالح البلاد العليا فضلاً عن سلامته وأمنه الشخصي بالطبع يرتبط هذا الفصل الغامض المثير بحقيقة علاقته مع جهاز الاستخبارات الإسرائيلي

الشهير بـ (الموساد) وهل كان أشرف مروان جاسوسًا يعمل لصالح الجهاز الصهيوني تحت ستار باحث في علوم الكيمياء أثناء وجوده في جامعة لندن؟ وإذا كان ذلك كذلك فهل كان أشرف مروان هو صاحب الأسماء الكودية التي أطلق عليه الموساد الإسرائيلي ومنها مستر بابل، والعريس، وزوج الابنة و«الصهر»؟! أم كان الرجل يعمل لصالح جهاز المخابرات العامة المصري ضمن أكبر وأشهر عملية تمويه وخداع وتضليل لجهاز الموساد الإسرائيلي؟!

على أية حال هذه قصة أخرى سوف نستعرض أدق تفاصيلها في الفصول القادمة.

خاض الرجل معارك عديدة منذ كان في مقتبل العمر مع مراكز القوى الناصرية في أواخر عهد الرئيس جمال عبد الناصر، وأوائل عهد الرئيس محمد أنور السادات كما خاض أيضًا معارك حامية الوطيس مع كبار الصحفيين في مصر وعلى رأسهم علي أمين، وموسى صبري ، وجلال الدين الحمامصي، وغيرهم ممن شنوا عليه أعنف ضرباتهم الصحفية على مواقعه رغم تدخل الرئيس السادات لصالحه وتهدئة خواطره، وتعنيفهم لأهمية مكانه وضرورة بقائه.

لم تكن معاركه مع هؤلاء فحسب، بل كانت له صولات وجولات مع ملوك المال وأباطرة البيزنيس في العالم، ومن ثم ظل على الدوام نجمًا لامعًا متألقًا متوهجًا ومصدرًا لا ينضب من الأنباء الطازجة والأخبار الحية والمثيرة التي كثيرًا ما طيرتها وكالات الأنباء العالمية.

إذن نحـــن أمام ظاهرة تستحق البحث والدراسة والتأمل، لاسيما وقد كان

في بواكير شبابه وثيق الصلة بمصادر القرار السياسي سواء كان ذلك في عهد الرئيس والد زوجته عبد الناصر، أو سلفه الرئيس أنور السادات، حيث لعب أشرف مروان أخطر وأهم أدواره داخل كردون مؤسسة الرئاسة حتى عينه السادات سكرتيرًا للمعلومات ومبعوثًا شخصيًا وعضوًا في لجان متعددة تتميز بأهميتها القصوى حتى تولى مهام مسؤولية الهيئة العربية للتصنيع.

أضف إلى ما سبق حصوله على نجمة سيناء التي أهداها له الرئيس أنور السادات عقب انتصارات حرب أكتوبر عرفانًا بدوره الخطير في تدبير الأسلحة التي كان يتطلع إليها الجيش المصري لخوض غمار المعركة مع إسرائيل فضلاً عن نجاحه في جلب وشراء قطع غيار كان سلاح الجو المصري يتلهف على الحصول عليها حتى تتمكن المقاتلات الجوية من أداء مهامها بكفاءة واقتدار.

صحيح أن أشرف مروان لم يكن مجرد سكرتير معلومات للرئيس ومبعوث شخصي أو مهندس العلاقات المصرية العربية، والرجل الخفي في شراء وتوريد الأسلحة، بل كان علاوة على ما أشرنا إليه كان قد عين في تلك الأثناء سفيرًا بوزارة الخارجية ورئيسًا للعلاقات العامة داخل وزارة الخارجية لأغراض كان يسعى إليها الرئيس السادات مستقبلاً بواسطة تلك الوظيفة الطارئة.

بعد أن ترك أشرف مروان رئاسة الهيئة العربية للتصنيع بقرار من الرئيس السادات تحول أشرف مروان إلى العمل بالتجارة والاستثمار، وسرعان ما أضحى أشهر وأكبر وألمع رجال الأعمال في جميع أنحاء العالم، وفي نهاية تلك الرحلة

الطويلة التي قطعها الرجل عاد «عمدة المصريين» في عاصمة الضباب جثة هامدة ملفوفًا في علم مصر، وعلى متن طائرة تابعة لشركة الخطوط الجوية المصرية بقرار سيادي تكريمًا له، وعرفانًا بدوره ليوارى جسده الثرى، ويسدل عليه الستار بعد حياة كانت حافلة بالأحداث الجسام، وعامرة بالتحديات وعظيمة بالإنجازات.

ثمة هاجس يدق رأسي بعنف بعد هذا المدخل ..

إذا كان هذا هو أشرف مروان السياسي الدبلوماسي المبعوث الرئاسي، المفاوض السري، الرجل الغامض، السكرتير المعلوماتي ، رمز البيزنس ، تاجر السلاح، المقاتل الجسور، فماذا عن الإنسان أشرف مروان ذلك الرجل المستحيل؟

ثم أين كان وكيف أصبح بعد مرور ٦٢ عامًا من عمره مرت بالتمام والكمال قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة في بلاد الضباب؟!

في إحدى محافظات صعيد مصر ولد محمد أشرف مروان أبو الوفا مروان في يناير ١٩٤٥ بقرية السواهجة التابعة لمركز ملوي بمحافظة المنيا عروس الصعيد.

بعد ميلاد أشرف بسنوات انتقلت أسرته إلى القاهرة للإقامة بها بعد أن تدرج والده في القوات المسلحة وأصبحت القاهرة هي المقر الرئيسي لعمله ومعيشته، ومن ثم كان حي منشية البكري بالقاهرة هو الحي الذي ضم بين جنباته أسرة الضابط أبو الوفا مروان.

عقب انتقال الأسرة إلى مسكنها الجديد كان أشرف قد التحق بمدرسة كوبري القبة الثانوية التي نال منها شهادته بمجموع متميز ليلتحق بعد ذلك بكلية العلوم جامعة القاهرة ليحصل على درجة البكالوريوس في علوم الكيمياء صيف عام ١٩٦٥ .

(والده):

كان أحد ضباط القوات المسلحة وقد تدرج في مناصبه العسكرية حتى نال درجة لواء بعد أن أصبح رئيسًا لسلاح الإمداد والتموين، ثم عمل بالحرس الجمهوري ، ثم أحيل للتقاعد ليتولى رئاسة مجلس إدارة شركة الأسواق الحرة بمدينة نصر.

(والدته):

هي السيدة الفاضلة فخرية عبد الفتاح فايد المولودة بقرية صان الحجر التابعة لمركز بسيون بمحافظة الغربية، وقد تزوجت من أبي الوفا مروان عام ١٩٤٤ بعد أن تعارفا بواسطة شقيقها الذي كان زميلاً للشاب أبي الوفا مروان.

(أشقاؤه):

كان لأشرف مروان ثلاثة أشقاء على رأسهم المهندس هاني،والأخت الكبرى عزة، ثم الأخيرة منى.

(الزوج):

كانت عائلة أشرف مروان ضمن أعضاء نادي هليوبوليس ا لشهير بحي مصر الجديدة حيث كان ولا يزال يضم في عضويته أغلب قادة وضباط الجيش المصري الذين كانوا يقطنون بالقرب منه.

وكعادة أبناء تلك العائلات اعتادت أسرة أبي الوفا مروان على الذهاب إلى النادي يوميًا للترفيه والتسلية، وممارسة الرياضة بشتى أنواعها والالتقاء مع بعض العائلات الأخرى لتجاذب أطراف الحديث في مختلف نواحي الحياة.

في تلك الأثناء كانت عزة شقيقة أشرف مروان ترتبط بعلاقة وطيدة وتينة وعميقة ورصينة مع الابنة الصغرى للرئيس جمال عبد الناصرالآنسة منى بلغت حد اللقاء اليومي بينهما منذ سنوات الدراسة وبالتحديد في نادي هليوبوليس.

لم تكن العلاقة بين منى عبد الناصر وعزة أبو الوفا مروان مجرد علاقة عابرة أو عشوائية أو فوضوية، بل كانت كما أشرت علاقة مضروبة في أعماق ترية صداقتها.

كانت العلاقة واضحة لدى أسرة جمال عبد الناصر حيث يتعذر في تلك الأثناء تكوين صداقات مع أحد أفراد أسرته، ولا سيما بناته دون إجراء تحريات دقيقة بعلم الرئيس، ومن ثم كانت أسرة أشرف مروان تلقى قبولاً حسنًا لدى مخابرات الرئيس، وبالتالي لدى الرئيس نفسه وإلا قد انفرط عقد تلك العلاقة بينهما.

على أية حال تطورت العلاقة تدريجيًا إلى مستوى غير مسبوق بين الفتاتين حتى ظهر أشرف مروان شقيق عزة عليه بشاشة الحياة أمام الفتاة الحسناء (منى) التي كانت تتلقى دروسها حينئذ في مدرجات الجامعة الأمريكية وذلك عام ١٩٦٦ .

كان أشرف مروان يتردد على حديقة النادي الاجتماعي وقلبه يهفو شغفًا وشوقًا لرؤية ابنة رئيس البلاد التي كانت تتميز بالرقة والعذوبة، وخفة الروح، والبساطة، والشجاعة ، والمرونة، والصلابة، والذكاء الاجتماعي.

لقد كان أشرف هو الآخر يتصف بالوسامة ودماثة الخلق وبشاشة الوجه حيث اشتهر بقامته الفارعة حتى بدا لناظريه شيقًا وأنيقًا، وإن كان قليل الكلام مع أقرانه رغم قدرته البلاغية وأسلوب حديثه العذب والمتميز.

من جانبها وجدت منى نفسها عقب لقائها الأول مع أشرف مروان تشعر نحوه بالانجذاب والضعف والرغبة في مواصلة الحديث مع هذا الشاب الساحر الرقيق الذي تسلل إلى قلبها وتربع بداخله دون أن تدري أو تتحسب لمثل هذا الأمر.

بالطبع كان الحب قد نما بين أشرف ومنى منذ أن وقعت عيني كل منهما على الآخر، وهو ما دفع أشرف إلى تعميق أواصر وروابط تلك العلاقة الوليدة بعد أن سكنت منى في مكنونات قلبه الذي كان يهتز حبًا وشوقًا إذا ما داعبت خياله، واستقرت كالسهم في سويداء قلبه.

مضت العلاقة بين أشرف ومنى تتقدم إلى الأمام من خلال أحاديث طويلة ومتشعبة في كافة شؤون الحياة حتى وجدت منى نفسها لا تستطيع الاستغناء عن هذا الشاب الذي يتميز بأفقه الواسع ورؤيته الثاقبة وطموحاته الهائلة.

بالطبع كانت الأجهزة الأمنية المعنية برصد تحركات أسرة جمال قد طيرت أنباء تلك العلاقة العاطفية إلى الرئيس الذي استفسر عن سلوكيات الشاب الذي أحبته ابنته وجاءت التقارير تؤكد كفاءة الشاب صاحب الشخصية القوية المتميز والمتألق بين أقرانه والمعروف بينهم جميعًا بآماله الواسعة وأحلامه العريضة، وطموحاته الكبيرة.

كان الرئيس جمال عبد الناصر قد سبق له تتويج علاقة عاطفية عنيفة

عاشت أحداثها ابنته الكبرى هدى مع الشاب الوسيم حاتم صادق الذي عقد قرانه عليهما في ٢ يوليو ١٩٦٤ حيث شهد صالون بيت الرئيس بمنشية البكري حفلاً عائليًا بهيجًا ضم الأهل والأصدقاء، وقد شهد المشير عبد الحكيم عامر على عقد الزواج مع شقيقه إبراهيم علي صادق شقيق العريس..

كانت هدى الابنة الكبرى للرئيس جمال عبد الناصر طالبة في السنة الثانية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية قد عاشت قصة حب مع الشاب الوسيم حاتم صادق الذي التقى بها للمرة الأولى في ملاعب الجامعة وبالتحديد ملعب كرة السلة الذي شهد العديد من اللقاءات العاطفية بين هدى وحاتم الذي كان قد فرغ من دراسة العلوم الاقتصادية بجامعة القاهرة.

وقد بارك الرئيس عبد الناصر قصة الحب الوليدة مؤكدًا موافقته على تتويجها بالزواج الرسمي بعد فترة خطوبة لا تتجاوز أكثر من عام حتى تكون العروس قد فرغت من دراستها.

وفي ٥ أغسطس ١٩٦٥ تم الزفاف بين العروسين بحضور الوزراء والأهل والأصدقاء ، وقد تصادف وجود رئيس غانا أحمد سيكتوري الذي حضر الحفل الساهر حيث كانت أم كلثوم وعبد الحليم حافظ على رأس الفنانين الذين أحيوا ساعات الحفل المهيب.

نعود إلى سيرة أشرف مروان وملابسات اقترانه مع الفتاة التي أحبها وهام على وجهه في شوارع القاهرة يتأمل صورتها التي لا تبارحه ويسهر وحيدًا يتأمل نجوم السماء ويرصد حركاتها ويحصي عددها، وهو يشدو بأعذب الألحان.

بعد شهور من تلك الفترة انضم أشرف مروان في صفوف القوات المسلحة كضابط احتياط في سلاح الحرب الكيماوية وفقًا لتخصصه في قسم الكيمياء بعلوم القاهرة.

وأثناء فترة التحاق أشرف مروان بالقوات المسلحة كان يتردد خلال أيام أجازته الأسبوعية على نادي هليوبوليس لرؤية محبوبته التي أسرته وسحرته وتوجت ملكة على عرش فؤاده النابض بغرامها ، وكان العاشقان يتطلعان إلى اليوم الذي سينهي فيه خدمته الإلزامية بالقوات المسلحة للتتويج هذه العلاقة بالارتباط الرسمي.

وفي أواخر عام ١٩٦٥ تقدم أشرف مروان رسميًا بصحبة والده اللواء أبو الوفا مروان لخطبة الآنسة منى جمال عبد الناصر وفي صالون بيت الرئيس الذي استقبل من قبل أسرة حاتم صادق كان جمال عبد الناصر يستقبل فيه أسرة أبي الوفا مروان.

وبعد تبادل التحيات والسلامات والكلمات التي لا تخلو من إطراء ومديح صاغها ببراعة اللواء أبو الوفا لرئيس الجمهورية كان جمال عبد الناصر يتأمل الشاب الذي بدت عليه ملامح الخجل والتعثر في النطق، وقد داعبه عبد الناصر قائلاً:

- إيه يا عريس مبتتكلمش ليه؟

- فأجاب أشرف وقد خارت قواه من هيبة أقوى زعيم في العالم العربي قائلاً:

- أبدًا يا أفندم أردت أن يتحدث والدي بالنيابة عني والواقع أنا باتشرف بأن أتقدم لطلب يد ابنتكم المصونة وربة العفاف الآنسة منى بعد موافقة سيادتكم طبعًا قبل كل شيء.

بدت الابتسامة على وجه جمال عبد الناصر تعبر عن قبوله وموافقته وارتياحه للعريس وأفراد أسرته وقد قال وهو يربت على يديه:

وأنا موافق يا أشرف خلاص شوف المواعيد التي تناسب الأسرتين وخير البر عاجله.

وهنا تهللت أسارير أشرف مروان وأشرق وجهه ولمعت عيناه وكاد يطير فرحًا رغم أنه كان على علم بموافقة الرئيس قبل أن يقوم بالزيارة بيد أن كلمات الرئيس كان لها أبلغ الأثر في فرحته وبهجته والنشوة التي سيطرت عليه.

وبعد أسبوع من هذا اللقاء تمت الخطوبة بين أشرف ومنى في حفل عائلي بسيط.

وفي شهر يوليو ١٩٦٦ فيما كان الصيف ساخنًا ودرجات الحرارة تتصاعد حدتها والرطوبة ترتفع نسبتها راح الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل ضيوفه من أهل العروسين وأصدقائهما ولفيفًا من كبار رجال الدولة في حديقة بيته بمنشية البكري لحضور عقد قران وإتمام زفاف أشرف ومنى بعد شهور من الخطوبة.

وكانت ليلة رائعة تألق فيها الرئيس جمال عبد الناصر وكادت البهجة تقفز من عينيه ابتهاجًا بزفاف ابنته الصغرى على الشاب الذي أحبته إلى حد الهوس والذي عشقها هو الآخر إلى حد الجنون.

وكما كان معتادًا أحيت كوكب الشرق وسيدة الغناء العربي أم كلثوم الحفل ومعها الفنان الرقيق عبد الحليم حافظ وباقة من ألمع الفنانين الذين شاركوا في إحياء تلك الليلة الرائعة.

(شهر العسل في واشنطن)

بعد أيام من حفل الزفاف الذي شهدته حديقة بيت الرئيس بمنشية البكري اصطحب أشرف مروان عروسه الرقيقة منى جمال عبد الناصر وطارا معًا إلى الولايات المتحدة الأمريكية لقضاء شهر العسل بعيدًا عن صيف القاهرة الساخن ولهيبها المستعر.

وفي أعقاب وصول العروسين إلى العاصمة الأمريكية واشنطن كانت السفارة المصرية في استقبالهما فضلاً عن أن البيت الأبيض قد أعد برنامجًا ترفيهيًا تكريمًا للرئيس جمال عبد الناصر رغم ما أشيع عن برودة تسري في شرايين العلاقة بين كلا البلدين.

وفي كتابه الشهير «عبد الناصر والعالم» روى الأستاذ محمد حسنين هيكل تفاصيل تلك الزيارة الشهيرة والمثيرة في تلك الفترة حيث قال بالنص:

«في هذا الوقت نفسه تقريبًا كانت منى ابنة الرئيس جمال عبد الناصر تزور الولايات المتحدة الأمريكية مع زوجها فاستضافهما الرئيس ليندون جونسون وزوجته الليدي بيرد في البيت الأبيض، وكان جونسون يكاد يقطر بالرقة والمودة..

ويستطرد هيكل قائلاً في روايته أن جونسون راح يقول لمنى ابنة الرئيس جمال عبد الناصر:

«أنت عروس وابنتي عروس كذلك.. ولذا فأنا كوالدك تعالي إلى المزرعة وأخبري والدك بأني أريد أن أكون صديقًا له».

وهكذا وجد أشرف مروان نفسه فجأة في البيت الأبيض تلك التي يتعذر على

الجميع الدخول إليه باستثناء رؤساء الدول فقط، كما وجد نفسه وجهًا لوجه أمام الرئيس الأمريكي جونسون، وفي جناح أسرته الخاص وفي المكتب البيضاوي الشهير.

صحيح أن هذا يدفعني للتساؤل عن سر موافقة الرئيس جمال عبد الناصر على قضاء ابنته شهر العسل في الولايات المتحدة الأمريكية دون غيرها، ومن قبل سعى لإلحاقها بالجامعة الأمريكية، وأوفد نجله خالد لدراسة الهندسة في لندن وهي الدول الإمبريالية التي ناصبها عبد الناصر العداء والكراهية على رؤوس الأشهاد ولكن على أية حال هذه قصة أخرى.

وعاد العروسان بعد انقضاء شهر العسل حيث أبحرت سفينة حياتهما على صفحة مياه هادئة في سنواتها الأولى حيث تسلم أشرف مروان مهام عمله الجديد بمؤسسة رئاسة الجمهورية بمكتب سكرتارية الرئيس تحت إشراف الوزير سامي شرف، وقد لعب سامي شرف دورًا كبيرًا في تقليص دور أشرف مروان كما سبق أن مارسه مع حاتم صادق (عديل) أشرف الذي التحق بالعمل في مكتب سامي شرف وهو ما دفع سامي لتحجيم دوريهما حرصًا على مكانته وتكريسًا لنفوذه وتوطيدًا لدوره الأساسي داخل مؤسسة رئاسة الجمهورية.

(وفاة الزعيم)

مضت الأمور هادئة داخل مكتب الرئاسة دون جلبة أو ضوضاء حيث كان الرئيس جمال عبد الناصر يتمتع بحضور طاغ وقوي ومهيب الأمر الذي أدى إلى حالة من الهدوء والسكينة داخل مؤسسة الرئاسة مما كانت المتاعب والمشكلات تتفاقم في أعماق النفوس لا تجرؤ على الظهور والإعلان.

وفي مساء الثامن والعشرين من سبتمبر ١٩٧٠ لفظ جمال عبد الناصر أنفاسه الأخيرة بصورة مفاجئة ومذهلة ألجمت الجميع فانهمرت دموع الملايين حتى فاضت أنهارًا وبحارًا من هول الصدمة.

كانت الوفاة مدعاة للدهشة والاستغراب حيث كان الزعيم يتميز بصحة جيدة وبنيان قوي ونبرات صوته كانت على حدتها رغم آثار الهزيمة التي كانت بادية على ملامح وجهه الكسير.

لقد ألقت الصدمة بظلالها الكئيبة والمروعة على الجميع، ومن ثم لم يكن أشرف مروان مستثنى من تلك الفاجعة الرهيبة حيث رحل الرجل الذي كان له ظهرًا وسندًا وحائطًا منيعًا فإذا بالظهر ينحني والسند ينكسر وحائطه يتصدع وينهار.

وفي غضون ساعات وقبل تشييع جثمان الزعيم جمال عبد الناصر اجتمع كبار رجال الدولة في الطابق الأرضي ببيت الرئيس الراحل لتنصيب رئيس للبلاد خلفًا له تفاديًا لصراع دموي لا تحمد عقباه قد يحرق اليابس والأخضر معًا.

كان أشرف مروان في تلك الأثناء يمقت جوقة الرئيس وأنصاره ورجاله الذين

أشاعوا الظلم والطغيان والاستبداد وانتهجوا المبادئ الاشتراكية والقيم الماركسية والنظم اللينية بعيدًا عن ثقافة الاقتصاد الحر والنظم الليبرالية المتفتحة.

كان الرجل يتوق إلى رئيس يفتح البلاد على مصراعيها بعد تحرير الأرض لإنهاء المرحلة الاشتراكية بكل سلبياتها وخباياها ومتاعبها وأهوالها.

وجاء النائب الأول محمد أنور السادات خلفًا للزعيم جمال عبد الناصر وهو الاختيار الذي أجمع عليه كبار رجال الدولة أمثال زكريا محي الدين، وسامي شرف، وعلي صبري، وشعراوي جمعة، والفريق محمد فوزي وحسين الشافعي، ومحمد حسنين هيكل، وغيرهم ممن جمعهم صالون منشية البكري.

وفي الصباح وبعد إنهاء مراسم الدفن والعزاء وانتقال السلطة إلى النائب الأول محمد أنور السادات قامت الملايين بتشييع جثمانه إلى مثواه الأخير لإسدال الستار على الحقبة الناصرية لتدلف البلاد إلى حقبة أخرى تحولت معها مصر ١٨٠ درجة بالتمام والكمال لاختلافها جذريًا مع المرحلة التي سبقتها.

وبعد أن وارى جثمان الزعيم جمال عبد الناصر الثرى عاد أشرف مروان إلى بيته يدور على عقبيه متسائلاً ماذا سيحدث في الأيام القادمة مع سامي شرف؟ وماذا عن الرئيس الجديد أنور السادات؟

وهل ستستمر الأحوال على ما هي عليه؟ أم أن هناك تطورات جديدة ومستجدات ستعصف بالأحوال الماضية.

الفصل الثاني

(رحلة الصعود إلى القمة)

مامن شك أن أشرف مروان كان متلهفا ومتعجلاً الوصول على عجل إلى قمة المجد والسلطة والثراء دون إبطاء أو تراخي وإن تعاظمت التحديات وتوحشت الصعوبات.

وعلى غير ما كان متوقعا اقترن بابنة الرئيس جمال عبد الناصر التي كانت جسراً وبابا للعبور السريع إلى عالم السياسة والسلطة والنفوذ ليختصر أشواطا طويلة كان سيقطعها قسراً للوصول إلى أهدافه وغاياته وآماله وأمانيه

صحيح أن البعض راح يتهمه بسعيه الحثيث للزواج بابنة رئيس البلاد لتحقيق أحلامه العريضة بيد أن أشرف مروان كان بالفعل صادقًا في عشقه وغرامه وهيامه وولعه بابنة الرئيس ومن كان يجرؤ على أن تراوده مثل هذه المخططات مع ابنة الزعيم المهيب جمال عبد الناصر لقد أحب أشرف مروان فتاته «منى» من مكنونات فؤاده ووالدها الرئيس عبد الناصر هو الذي أمر بتعيينه إلى جانب

عديله حاتم صادق بمكتب سامي شرف برئاسة الجمهورية ولم يكن أشرف متطلعا إلى ذلك كما ادعى البعض وروج هذه المزاعم.

الشاهد أن رئاسة الجمهورية شهدت عهدا جديدا مفعماً بالتحديات والصراعات والنزاعات بين الرئيس السادات من جانب ومراكز القوى والسلطة والنفوذ من جانب آخر.

كان فريق مراكز القوى الذي يضم سامي شرف وشعراوي جمعة وعلي صبري ولبيب شقير ومحمد فوزي وضياء الدين داود ومحمد فائق يرى أنه الأحق بإدارة شئون البلاد وتفعيل سياستها في الداخل والخارج فضلا عن أن السادات ينبغي عليه انتهاج سياسة سلفه الرئيس جمال عبد الناصر كما تعهد بذلك أثناء التفاهم على تنصيبه رئيسا شرعيا للبلاد وفقا لمواد الدستور على اعتبار أنه النائب الأول لرئيس الجمهورية.

لم يكن السادات من جانبه على استعداد بحال من الأحوال المضي قدما على طريق سلفه حيث رأى أن ذلك تمييعا لشخصيته وانتقاصا من شأنه وتهوينا من مكانته.

صحيح أن السادات بدهائه تعهد أمامهم بعزمه السير على طريق العلم والقائد وأنه لن يدخر جهدا في الاستعانة بآرائهم وعدم اتخاذ آية قرارات سواء كان في الداخل أو في الخارج إلا بعد الرجوع إليهم.

لكن بمرور الوقت كان السادات يمضي على عكس ما ألزم نفسه به أمامهم حيث كان في طريقه إلى الافراج عن المعتقلين السياسيين والتخلص من النفوذ السوفيتي الذي تغلغل في شتى مناحي الحياة في مصر وتحرير الصحف ووسائل الإعلام من قبضة الرقباء وغيرها والارتماء في أحضان أوربا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية وانتهاج السياسة الليبرالية بدلا من السياسة الاشتراكية التي

كانت سمة من أبرز سمات عهد الرئيس جمال عبد الناصر.

وطبيعي أن الرئيس أنور السادات كان على حق في انتهاج سياسة جديدة تختلف اختلافا كليا وجوهريا عن سياسة سلفه جمال عبد الناصر على اعتبار أن للرجل رؤيته وأفكاره ومنهجه وأسلوبه وسياسته ولا ينبغي الالتزام حرفيا بسياسة سلفه أو إقرار ورثته بإملاء سياستهم عليه للسير على الطريقة الماضية.

* * *

الحاصل أن الصراع بين الفريقين اشتد وتصاعدت حدته حتى بلغ ذروته وراح فريق مراكز القوى يفرض سياسته على أنور السادات ويتنصت على مكالماته وتحركاته وسياسته فيما كان السادات لا يعبأ بما يدبرون حيث كان قد أعد خطته الدقيقة والخطيرة للإطاحة بفريق مراكز القوى الذي يتربص به ويتحين الفرصة للانقضاض على السلطة بعد أن خدعهم وبدأ يسعى سراً لتقليص نفوذهم من ناحيتهم كان علي صبري وأنصاره يتندرون بفاحش القول غمزا ولمزا وتلميحا وتصريحا على الرئيس أنور السادات حتى أنهم كثيرا ما رددوا أن السادات الذي قطع على نفسه وعداً بالالتزام بسياسة جمال عبد الناصر كان بالفعل صادقا فيما تعهد به حيث مضى على طريقة باستيكة!!

وفي ندرة أخرى ردد هؤلاء أن السادات أشبه بقائد سيارة أعطى إشارة للسير جهة اليسار فيما انطلق ناحية اليمين!!

ولم تقف الأمور عند هذا الحد بل زعم هؤلاء أن السادات دمية وألعوبة وأراجوز وأنه شخصية لا لون لها ولا رائحة وأنه سيعود أدراجه إلى الحظيرة الناصرية حيث لا يقوي السادات على الانفراد بالسلطة لهشاشة شخصيته وضعف قوته.

كان أشرف مروان في تلك الأثناء قد ألقى بكل ثقله في أحضان الرئيس أنور

السادات بوصفه رمز السلطة والشرعية فضلا عن كراهيته الشديدة لسامي شرف وعلي صبري وهؤلاء الذين كانوا يفرضون حصارا حديديا حول الرئيس جمال عبد الناصر فغابت عنه الحقائق وحجبت عنه الوثائق.

لقد كانت الكلمة التي رددها جمال عبد الناصر عقب هزيمة ١٩٦٧ تدق بعنف في رأس الشاب النابه أشرف مروان حين كان جمال عبد الناصر قد قال في خطابه الشهير بعد هزيمة ١٩٦٧ وسقوط صلاح نصر وأعوانه «كانوا بيخوفوني من الشعب»

ولأن أشرف مروان كان بالقرب من هؤلاء فقد رأى بنفسه ما كان يدور في كواليس رئاسة الجمهورية من صراعات بين هؤلاء من أجل التشويش والانفراد والاستحواذ والسيطرة وبسط النفوذ.

لقد أدرك أشرف مروان بذكائه وعبقريته أنه في حال انتصار أنور السادات سوف يبقى بجواره إلى نهاية عهده وسوف يتبوأ مكانة سامي شرف عقب إزاحته وأنه مادانت الأمور لصالح مراكز القوى فسوف تتدخل قرينة الرئيس جمال عبد الناصر للوساطة بينه وبينهم بعد أن تتذرع بصغر سنه وعنفوان شبابه المندفع والمتهور.

لكن جاءت الرياح بما تشتهي سفن أشرف مروان حيث كان أنور السادات هو الذي أطاح بخصومه وألقى بهم في غياهب السجون للتخلص منهم والقضاء على نفوذهم وإنهاء دورهم.

وفي أوائل مايو وبينما كان السادات يطوف المؤسسات والشركات والمصانع للكشف عن سياسته وآرائه وبرنامجه وأفكاره كان أنصار مراكز القوى لا يملون من محاولات إفشال مؤتمراته وإجهاض تحركاته وتخريب سياسته.

وبينما كانت البلاد تعيش على صفيح ساخن وبركان الغضب لدى أنور

السادات أوشك على الانفجار وإطلاق حممه وجمراته لإحراق هؤلاء الذين يحاصرونه كان أشرف مروان على موعد مع المجد والتألق والانطلاق والقفز إلى الأمام بأقصى سرعة والحاصل أن أشرف مروان الذي كان على يقين من سيطرة سامي شرف على أوراق ووثائق خطيرة ومثيرة وأنه في سبيله لتهريبها بعد أن بلغ الصراع أوجه مع الرئيس أنور السادات.

وفي إحدى الليالي راقب أشرف مروان مكتب سامي شرف للاطلاع على ما يجري بداخله لاحظ أن محمد سعيد سكرتير الوزير سامي شرف قام بنقل صناديق مغلقة وبداخلها أوراق ووثائق هامة وخطيرة شرع في نقلها إلى مكان غير معلوم بإيعاز من سامي شرف كان أشرف الذي يتحلى منذ صغره بشجاعة نادرة وفائقة قد اختبأ في سيارته لملاحقة محمد سعيد ومطاردته في إحدى الشوارع الخالية من المارة والاستيلاء على ما في حوزته ونقلها للرئيس السادات على الفور لاتخاذ اللازم حيال تلك المجموعة التي باتت خطرا جسيما على الشرعية وعلى مستقبل البلاد ومصيرها.

وبالفعل كان أشرف مروان قد انطلق خلف سيارة محمد سعيد وحاصره في إحدى شوارع المعادي التي يندر فيها المارة وراح يطلق النار على سيارته حتى أرغمه على الوقوف والنزول من سيارته وتسليمه الصناديق العامرة بالأوراق والمستندات وقد تمكن مروان من الاستيلاء على ما في داخل السيارة وانطلق كالسهم كالرمح كالغزال يرقص طربا إلى بيت الرئيس أنور السادات بالجيزة ليسلمه كافة الأوراق التي استولى عليها.

كان هذا الموقف شهادة ميلاد اعتمدها السادات لأشرف مروان بصفته أقرب أنصاره ومحبيه بعد أن كان يشعر أن آل عبد الناصر جميعا يناصبونه العداء مع أنصاره من مراكز القوى لاسيما أن حاتم صادق «عديل أشرف مروان» وزوج هدى جمال عبد الناصر قد جاهر بتأييده لمراكز القوى دون أدنى اعتبار لشرعية

السادات وسلطاته التي خولها له الدستور ومواد القانون.

كان أشرف مروان على يقين أنه بات مستهدفا بعد أن كشف النقاب عن حقيقة ولائه وتعاطفه وتأييده بعد أنه كان الجميع يظنون أنه ضمن الفريق الناصري العنيد بصفته زوج ابنة الرئيس جمال عبد الناصر.

كانت الأوراق التي حملها أشرف مروان شديدة الخطورة والأهمية حيث كانت جميعها تتعلق بكافة أفراد المجموعة ومستندات الاتحاد الاشتراكي والتنظيم الطليعي وأرقام الحسابات الخاصة في كافة البنوك والمصارف.

ولأن أنور السادات كان شديد المكر والدهاء فقد فطن لوجود أشرف مروان بجانبه في تلك المرحلة الخطيرة لاسيما وأنه زوج ابنة الرئيس جمال عبد الناصر وذلك بهدف شق الصف بين أفراد العائلة الناصرية ومراكز القوى الناصرية لإضعاف مكانتها وخنق ومحاصرة مراكز القوى.

حركة التصحيح

في الرابع عشر من مايو ١٩٧١ ليلة حركة التصحيح التي قادها الرئيس أنور السادات ضد خصومه في الحكم أو من أطلق عليهم حينئذ «مراكز القوى» فوجئ بأن أشرف مروان يطلب مقابلته في أمر عاجل لا يحتمل التأجيل أو التسويف نظرا لخطورته القصوى.

كان الرئيس أنور السادات في تلك الأثناء يتابع باهتمام بالغ تفاصيل نشرة أخبار الساعة الحادية عشرة مساء وحين علم بوجود أشرف مروان خارج مكتبه أمر سكرتيره باستدعائه على الفور.

كان أشرف مروان حاملا معه استقالات مجموعة مراكز القوى التي قدموها بصورة جماعية بهدف إضعاف مكانة الرئيس السادات ومغازلة أبناء الأمة من أجل التحرك السريع ضد السادات وإزاحته والتخلص منه حتى يتسنى لمراكز القوى كما أوهموا أنفسهم أن الشعب سيثور في الصباح الباكر لإعادتهم لإدارة شئون البلاد والإطاحة بالرجل القابع بمفرده على كرسي السلطة رغم الشرعية الدستورية التي يتمتع بها من جانبه تناول السادات الاستقالات وراح يتأملها ثم سرعان ما صاح قائلاً بصوته العالي الذي هز أرجاء المكان وهو يضحك: عفارم عليهم وفروا علي كثير.

وأنا قبلت استقالاتهم يا واد يا أشرف،

وفجأة ظهر مذيع النشرة التلفزيونية يعلن أخبار الاستقالات الجماعية الأمر الذي دفع السادات لإعلان موقفه صراحة في تلك الخطوة الخطيرة حيث أعلن

التلفزيون المصري أن الرئيس أنور السادات وافق على قبول تلك الاستقالات من أجل النهوض بالبلاد والارتقاء بمستوى الشعب.

عاد السادات يقول بعد أن تهلل وجهه موجها كلامه لأشرف مروان: هما الجماعة دول فاكرين ايه.. ها امسك فيهم. هأ. هأ. هأ. الظاهر أن الجماعة دول مخهم ضرب.. عموما الحمد لله الحمد لله. كتبوا نهايتهم بأيديهم محدش غصبهم عليها. هأ. هأ. هأ

وفي صباح اليوم التالي أصدر الرئيس أنور السادات أوامره إلى قائد الحرس الجمهوري «الليثي ناصف» لإلقاء القبض على جميع أعضاء مراكز القوى لإجهاض مخططاتهم.

لم يكن هذا الموقف الذي لعبه أشرف مروان هو الأول بل قد سبقته مواقف عديدة أكدت ولاء أشرف مروان للرئيس أنور السادات وعداءه الشديد لخصومه الناصريين.

ولعل دور أشرف مروان في تلك اللحظات الخطيرة هو الذي ساهم في تصعيده إلى الأمام الأمر الذي أثار عاصفة من الغضب ممن حوله حقدا على نبوغه وذكائه وصعوده السريع في سن مبكرة حتى أن الرئيس السادات أكد لصديقه الدكتور محمود جامع ردا على سؤاله عن سر تمسكه بأشرف مروان رغم حداثة سنه «أشرف نور لي طريقي يا محمود.. الناس دي مش فاهمة حاجة»..

أما بخصوص تنوير الطريق الذي تحدث عنه الرئيس أنور السادات فقد كان لأشرف مروان دور هام في إضاءة الطريق المظلم المعتم الذي كان يمشي فيه الرئيس أنور السادات.

واقع الحال أن أشرف مروان كان قد حصل على مجموعة هائلة من

التسجيلات الخاصة بالرئيس أنور السادات التي كانت في حوزة العميد طه زكي الضابط بقطاع مباحث أمن الدولة والذي كان يتولى تفريغ هذه التسجيلات بأوامره مباشرة من شعراوي جمعة وزير الداخلية وقد قر الرجل تسليمها للرئيس أنور السادات لكشف النقاب عن تلك الأعمال القذرة التي مارستها مجموعة مراكز القوى المحيطة به من كل جانب.

كان العميد طه زكي في حيرة من أمره حيث عجز عن الوصول إلى الشخص المناسب والذي يستطيع مساعدته للوصول إلى رئاسة الجمهورية حيث خشى من أعوان وأنصار المجموعة الناصرية التي تلتف كالأفعى حول عنق مؤسسة الرئاسة.

وفي نهاية المطاف اهتدى الرجل إلى الشخص المناسب لتلك المهمة حين تذكر ابن عمه الضابط بالقوات المسلحة العقيد معوض جاد المولى الذي كان على علاقة وثيقة مع العقيد أحمد طه زوج الشقيقة الصغرى للرئيس أنور السادات، السيدة عائشة.

ودون أي تردد توجه العقيد أحمد طه نفسه أمام فوزي عبد الحافظ السكرتير الخاص للرئيس أنور السادات الذي تباطأ في إبلاغ الرئيس بالأمر ظنا منه أن المسألة لا تستوجب إزعاج الرئيس وإرباك جدوله اليومي.

ولأن الأمور كانت تتضاعف مخاطرها ساعة بعد أخرى فقد تنبه أحمد طه لوجود أشرف مروان فتوجه إليه على الفور ومعه العقيد معوض جاد المولى والعميد طه زكي وراح أحمد طه يقص على مسامع أشرف القصة وتفاصيلها الدقيقة ومدى انعكاساتها الخطيرة على مصير الرئيس أنور السادات الذي ينبغي أنه يتنبه لممارسات الذين يحيطون به من كل جانب ويستهدفون حياته.

من جانبه تلقف الداهية أشرف مروان حقيبة التسجيلات الخاصة بمكالمات الرئيس أنور السادات وأفراد أسرته وكأن القدر قد اختصه دون غيره بقبول هذه

المهمة حتى تعلو مكانته وتتعاظم أهميته في عيون الرئيس أنور السادات وأفراد أسرته.

وانطلق أشرف مهرولا نحو مكتب الرئيس وناوله التسجيلات الخاصة التي وقف أمامها مشدوها فاغرا فاهه من هول ما يجري أمامه.

وعقب انتهاء الرئيس السادات من سماع ما تحتويه تلك التسجيلات أبدى رغبته في مصافحة الرجال الثلاثة الذين بذلوا قصارى جهدهم من أجل مساندة الشرعية المتمثلة في الرئيس أنور السادات بيد أن امتنان السادات بالشاب أشرف مروان كان يتضاعف يوما بعد الأخر وإيمانه بأهمية وجوده بجانبه يزداد ساعة بعد أخرى.

مامن شك أن أشرف مروان الشاب الحالم الطامح السابح في عالم الخيال يسعى جاهدا إلى شغل مكان الوزير «سامي شرف» الذي كان المسؤل الأول عن إدارة شؤون رئاسة الجمهورية وما يجري داخل كواليسها وكان الرئيس أنور السادات يقول لأشرف مروان ضاحكا:

لسة بدري عليك يا أشرف .. تتمرن وتزداد خبرة ساعتها يبقي لكل حادث حديث

وعلى الرغم من ذلك تعاظم دوره وتضخم نفوذه وتوسعت مكانته وتألق نجمه داخل القصر الرئاسي بعد أدائه الرائع وتوثيق علاقته مع أسرة الرئيس أنور السادات ولاسيما أن السيدة جيهان السادات كانت تميل نحو زوجته السيدة منى جمال عبد الناصر دون غيرها من أبناء الأسرة الناصرية.

وكان السبب في ذلك كما سبق وأن أشرت جنوح الأسرة إلى جانب مجموعة مراكز القوى وتنشيط دور حاتم صادق وزوجته هدى جمال عبد الناصر في تصعيد الأزمة وافتعال المشكلات وإثارة الخلافات مع الرئيس أنور السادات

واتهامه بعدم الوفاء بالسير على طريق الزعيم والقائد والمعلم جمال عبد الناصر وهي الرغبة التي اصطدمت مع منهج الرئيس أنور السادات الذي أراد أن ينتهج سياسة جديدة تنبع من ذاته وليست إملاء من الآخرين ولاسيما ورثة عبد الناصر

الشاهد أن أشرف مروان أضحى موضع ثقة الرئيس أنور السادات وفتاه المدلل ومن ثم كان يتولى بنفسه اختيار طاقم المضيفات على طائرة الرئيس الخاصة الأمر الذي أدى إلى تذمر البعض داخل مؤسسة الرئاسة من الذين تنبهوا لخطورة صعود أشرف وتنامي دوره وتوحش نفوذه.

بالطبع كان صعود أشرف الصاروخي وفرض سيطرته على مؤسسة الرئاسة دفع أحد مسؤلي أجهزة الأمن بالرئاسة لمراقبة تصرفاته ورصد تحركاته ولعله يستطيع ضبطه متلبسا في وضع مشين يؤثر على مكانته لدى الرئيس أنور السادات ومن ثم يسهل تصفيته والتخلص منه وإزاحته من مكانه دون تردد.

وحين نما إلى علم الرئيس أنور السادات هذا الأمر صاح ثائرا في وجه المسؤول الأمني وهدده بالطرد إذا لم يتوقف عن هذا السلوك الإجرامي الذي اندثر عهده وولى زمانه.

* * *

(الحرب على أشرف مروان)

بالطبع كان الصعود الصاروخي لأشرف ولمعان نجمه وصغر سنه قد ساعد على إشعال نيران الغضب وتأجيج لهيب الأحقاد في الصدور لكن أشرف مروان كان غير عابئ بما يضمره هؤلاء من كراهية وضغائن حيث كان غارقا حتى أذنيه في كيفية الوصول إلى قلب الرئيس أنور السادات الذي يملك في يديه جميع أوراق اعتماده وترسيخه وتدعيم مكانته من ناحية كان أشرف ينظر إلى هؤلاء نظرة دونية على اعتبار أنهم لا يملكون ورقة واحدة تضمن بقاءهم ساعة واحدة في رئاسة الجمهورية وأنهم جميعا في مهب أي رياح قد تأتي بين ساعة وأخرى لتعصف بهم وتطيح بمراكزهم.

لم يسلم أشرف من الوشايات والأكاذيب والافتراءات وتحريض البعض عليه لعل الرئيس السادات يتخلى عنه ويلقي به في قارعة الطريق غير أن الرئيس أنور السادات لم يكن يلتفت إلى مثل هذه الصغائر مدركا بذكائه ماهيتها ومن يقف وراءها ويخطط لها.

بدأت الحرب الضروس من خلال عريضة اتهامات طويلة تمس سمعة ونزاهة أشرف مروان حيث زعم هؤلاء الموتورين أن أشرف مروان قد استطاع استغلال مكانته وتوظيف نفوذه واشترى قطعة أرض كبيرة في منطقة الهرم رغم أن راتبه لا يكفي لشراء سهم واحد منها وكان السادات على يقين من براءة ذمة أشرف مروان وأن ما روجه البعض كان من قبيل اصطياده وافتراسه ومن ثم قرر إحالة التهم إلى النيابة العامة لكشف الحقيقة أمام الرأي العام الذي تأثر بما أشاعه البعض عبر الصحف القومية.

وأمام النيابة العامة دافع أشرف مروان عن نفسه وأثبت بالأدلة والبراهين أن قطعة الأرض التي ادعى خصومه أنه اشتراها بأموال مشبوهة حصل عليها من بعض الأمراء العرب في استغلال واضح لنفوذه ومكانته بمؤسسة الرئاسة إنما هو ادعاء كاذب لا أساس له من الصحة.

وراح أشرف يقدم ما في حوزته من أوراق ومستندات تبرهن على أن قطعة الأرض هي ملك زوجته السيدة منى جمال عبد الناصر التي قامت بشرائها بعد أن باعت ماليها من سيارات كانت تملكها على سبيل الإهداء من بعض رؤساء وملوك الدول العربية!!

وفي نهاية التحقيقات أعلنت النيابة العامة في مؤتمر صحفي براءة أشرف مروان من الاتهامات المنسوبة ضده وهو القرار الذي لاقى ارتياحا وقبولا لدى الرئيس أنور السادات الذي ربت على كتف أشرف مروان وهو يقول: «كنت عارف يا واد يا أشرف أنك أنت بريء وأنهم بيحاولوا يتخلصوا منك.. بس أنا كده ريحت الرأي العام وريحتك وتعبتهم هأ.. هأ.. هأ»

* * *

لقد كان خصوم أشرف مروان من العيار الثقيل أمثال الصحفي الكبير علي أمين والكاتب الشهير جلال الدين الحمامصي والصحفي المخضرم موسى صبري الذي أبدى كراهية دون أدنى حرج لأشرف مروان وراح يشن عليه هجوما عنيفا ويقود بنفسه حملات ضارية ضده على أمل إزاحته وتصفية وجوده من مؤسسة رئاسة الجمهورية اللافت للنظر أن أشرف مروان كان سببا لأزمات كثيرة ومتعددة نشبت واستفحلت بين الرئيس أنور السادات وبعض الصحفيين وعلى رأسهم موسى صبري الذي اعترف بذلك في كتابه «السادات الحقيقة والأسطورة» و«٥٠ عاما في قطار الصحافة».

لقد كان البعض يتساءل في دهشة إذا كان أشرف أو الطفل المعجزة كما أسمته الصحافة المعادية له يحمل كل هذه الموبقات فلماذا يتمسك به الرئيس أنور السادات ويصر على بقائه بجانبه وكأن مصر قد عقمت من إنجاب ملايين الشباب الذين يحملون مؤهلات ويتمتعون بقدرات ومهارات تفوق ما يتحلى به هذا الطفل المعجزة؟!

لكن الرئيس أنور السادات ومعه كوكبة من أقرب الناس إليه هم فقط الذين كانوا يدركون أهمية أشرف مروان وحقيقة دوره ووظيفته التي تجاوزت كونه صهر الرئيس جمال عبد الناصر.

كان أشرف مروان بفعل الصحافة المصرية التي لم تتوقف عن مهاجمته صداعا مزمنا وعنيفا يدق رأس الرئيس السادات حتى كاد أن يفرض الرقابة على الصحف كما كان حالها في عهد سلفه الرئيس جمال عبد الناصر لوقف تلك الهجمة الشرسة ووضع حد فاصل لها بعد أن تجاوزت الحدود والأعراف.

(أشرف وطني مخلص يا محمود)

في صباح أحد الأيام التقى الرئيس أنور السادات مع عديله السيد محمود أبو وافية الذي بادر بسؤال السادات قائلا:

بالمناسبة يا ريس الناس كلها في مصر بتهاجم أشرف مروان تشعر بالدهشة من وجوده في رئاسة الجمهورية وتستغرب إصرارك على وجوده هل من تفسير لهذا اللغز الغامض يا ريس؟

أشعل السادات غليونه وألقى بعود الثقاب على المطفأة وراح ينفث دخانها في الهواء كأنه يفكر فيما سيجيب على علامات الاستفهام التي أثارها أبو وافية ثم نهض من مكانه وهو يقول بصوته جهوري وهو يضغط بأسنانه على حروف الكلمات:

«أسمع يا محمود.. الموضوع مش زي ما انت فاهم والناس فاهمين كده.. الموضوع أكبر من كده كثير قوي..

أنا عارف أن الناس كرهت أشرف مروان بسبب ما تكتبه الصحافة عنه وطبعا الناس تتأثر بما تنشره تلك الصحف لكن الواقع أنا مش فاهم ليه الجماعة الصحفيين دول بيشنوا الهجوم العنيف ده على أشرف بالذات دون غيره..أنا عارف علشان الولد سنه صغير وناجح ووصل بسرعة الصارروخ والأحقاد كتير عليه منذ أن تزوج بمنى.. أنا عارف كل ده كويس لكن الواقع يا محمود أن مسألة الهجوم على أشرف ليس لها ما يبررها على وجه الإطلاق.. قالوا ده اشترى أرض الهرم بفلوس أخذها من الأمير فلان... حولنا القضية على النيابة العامة وحققت وثبتت براءته.. عاوزين إيه تاني أرميه في السجن دون تهمة.. لا.. الزمان ده يا محمود انتهى.. الظلم والاستبداد وصلاح نصر وشعراوي جمعة خلاص معنديش احنا في زمن الحرية والديمقراطية وسيادة القانون.

محمود أبو وافية: بس يا ريس عاوز أعرف منكم لماذا تصرون على بقائه بجواركم؟

أنور السادات: أنت مستعجل تعرف حقيقة تمسكي بالولد ده ليه يا محمود؟

أبو وافية: طبعا يا ريس أنا متلهف لمعرفة السبب الخطير لتمسكك به

السادات: هو بالفعل خطير يا محمود.. أنا ها صارحك من أجل إغلاق هذا الملف ولا نعود إليه مرة أخرى.. أشرف مروان يا محمود بيقوم بخدمات للبلد لا تسمح كرامتي أن أقوم بها!!

نزلت الكلمات على رأس محمود أبو وافية كالصاعقة وهو يتفحص وجه الرئيس السادات قائلاً في دهشة بعد أن ران الصمت على المكان

أبو وافية: خدمات؟! زي ايه يا ريس مثلاً؟

السادات بعد أن أخذ نفسا عميقا من غليونه:

انت عارف يا محمود أن الخزانة عبد الناصر تركها لي على الحديدة وأن البلد كثيرا ما تتعرض لأزمات خانقة وتحتاج لموارد مالية وسلع استراتيجية خصوصا وأن جميع الموارد تتصب الآن في خانة المجهود الحربي استعدادا ليوم تحرير الأرض بإذن الله من الصهاينة وعودة سيناء لأحضان الوطن الأم مرة أخرى

أبو وافية: طبعا يا أفندم أنا على يقين من كل هذه الأشياء

السادات:إذن تضع نفسك مكاني يا محمود.. أجيب منين أصرف مرتبات وأدعم الأسعار.. من هنا كنت مضطر أمد يدي للأخوة ملوك ورؤساء بعض الدول العربية الشقيقة وده طبعا يتعارض مع كرامتي بصفتي رئيسا لمصر أكبر وأعظم وأعرق بلدان العالم.. وكان أشرف مروان هو المفتاح السحري لدخول هذا العالم هذا الولد يملك شجاعة وجسارة وذكاء وحضور قلما أن ترى له مثيلا وبالتالي يستطيع متوكأ على كل هذه العناصر الذهاب إلى الدول العربية الغنية وللحصول على مساعدات مالية لمواجهة التحديات التي تتعرض لها أشرف بيقوم أيضا بمهام وطنية خطيرة يا محمود مش وقت الكلام فيها.. وأصل الولد ده على علاقات وطيدة مع أبناء وأشقاء هؤلاء القادة وبعض مستشاريهم وهو بيعرف يدخل عليهم إزاي عرفت القصة يا محمود

* * *

واقع الحال أن أشرف مروان أثناء تلك الفترة قد تعمقت علاقته بالفعل مع ملوك وأمراء الدول العربية بواسطة كمال أدهم الذي كان يشغل منصب مدير المخابرات السعودية شقيق زوجة الملك فيصل الذي كان بابا ملكيا لعبور أشرف إلى محيط القادة والملوك العرب ومن ثم استطاع من خلال هذه العلاقات القيام بأخطر وأعظم المهام السرية والوطنية لخدمة بلاده في شتى القطاعات سواء

الاقتصادية أو السياسية أو العسكرية والاستخباراتية وهو ما سوف نخوض في تفاصيله فيما بعد لكن هل كان مطلوبا من الرئيس السادات أن يفتح خزانة أسراره لكل من ناصب أشرف مروان العداء أم أن الأمر ينبغي أن يظل في موضع الكتمان حفاظا على مصالح البلاد العليا لكن كان السادات يرى من جانبه أن موسى صبري يجب أن يقف على حقيقة الأمور ويحيطه علما لعله يتوقف عن حملاته التحريضية ضد أشرف مروان.

وفي لقاء متعمد بين الرئيس أنور السادات وموسى صبري الذي كان أقرب الصحفيين إلى قلبه راح موسى صبري يسأل الرئيس السادات عن سر تمسكه ببقاء أشرف مروان رغم ما يحيط به من شبهات وتصرفات غير مسؤولة سوف يكون لها تداعياتها الخطيرة على صورة مؤسسة الرئاسة.

والتقط السادات خيط الحديث حتى يضع نهاية لهذا الصداع المزمن الذي بات يؤرقه ويرهقه قائلاً لموسى صبري:

«أنا يا موسى عارف إنك صاحب قلم وطني ومخلص لكن هناك أشياء ينبغي أن تلتزم الصمت أمامها من أجل مصالح البلاد العليا».

علق موسى صبري من جانبه:

- وما علاقة ذلك بأشرف مروان يا سيادة الرئيس؟

أجاب السادات إجابة مطولة لعلها تكون شافية لإنهاء الخصومة المفتعلة بين موسى وأشرف مروان بيد أن موسى صبري كان متمسكًا بعدائه الشديد وخصومته لأشرف مروان رغم ما قاله الرئيس السادات وكان الأمر لا يخلو من حقد وكراهية دفينة يحملها موسى في صدره نحو الشاب الصغير.

أغلب الظن أن موسى صبري أراد أن يتربع على عرش قلب السادات، ومن ثم رأى أن أشرف مروان يستحوذ عليه رغم اختلاف وتنوع مهامهما وإلا ما هو

التفسير الملائم لحالة موسى صبري وعدائه الشديد لأشرف مروان،

وللتأكيد على ذلك تأمل ما ورد في كتابه (السادات الحقيقة والأسطورة) حيث يقول موسى صبري:

«إن لقاءً غير مدبر جمعني مع الدكتور أشرف مروان الذي عاتبني وتحداني...

وقد سأله موسى صبري: هل أنت على استعداد لمواجهة قائمة الاتهامات المنسوبة إليك»؟

أجاب مروان بسرعة وحزم..

«إنه على أتم الاستعداد لتلك المواجهة من أجل وضع نهاية لهذه المعارك المفتعلة التي لا تعتمد على أسس منطقية سليمة».

وراح موسى صبري وفقًا لما ورد في كتابه يكلف الزميل إبراهيم سعدة الصحفي اللامع آنذاك في مؤسسة أخبار اليوم بإجراء لقاء مباشر وصريح يتجاوز كافة الخطوط وجميع القيود ويتخطى الحدود من أجل إحراج أشرف مروان وإدانته على رؤوس الأشهاد ومن خلال توجيه كافة الاتهامات والإشاعات والأقاويل التي تتناثر حولها من هنا وهناك في محاولة لمحاصرته وتلطيخ سمعته وإظهار عجزه عن نفي الاتهامات التي ينسبها البعض إليه.

وفي معرض حديثه مع أشرف مروان تأكد إبراهيم سعدة أنه أمام شاب عبقري وأسطورة وأنه يملك القدرة على تفنيد جميع الاتهامات الموجهة إليه بهدوء، وسلاسة معتمداً على سلامة منطقه ورجاحة عقله وبراءة ذمته.

ومن جانبه قدم إبراهيم سعدة تفاصيل حواره مع أشرف مروان إلى رئيسه موسى صبري الذي كان ينتظر على أحر من الجمر العناوين المثيرة والتحريضية التي ستدين أشرف مروان، بيد أنه لاحظ أن إبراهيم سعدة أبدى قدرًا هائلاً من التعاطف معه في مقدمة الحوار، وثار موسى صبري وهاج وماج واستدعى

إبراهيم سعدة لتوبيخه على إخفاقه في حواره مع أشرف مرواه الذي نجح في دحض كافة الأباطيل التي واجهه بها إبراهيم سعدة..

راح إبراهيم سعدة يدافع عن حواره بغض النظر عن رأيه في شخص أشرف مروان حيث أكد لموسى صبري أنه محرر صحفي يسعى إلى كشف الحقيقة ولم يكن يدري أنه مكلف بتوجيه أصابع الاتهام إلى أشرف مروان.

وفي نهاية الأمر رفض موسى صبري نشر الحديث ووضعه في أدراج النسيان رغم اتصالات أشرف مروان وإلحاحه المستمر غير أن موسى صبري العنيد أصر على موقفه، وقد أشار إلى ذلك في كتابه قائلاً بالنص:

«إن إبراهيم سعدة أجرى الحديث بالفعل مع أشرف، وبدوري قرأت البروفة ولكنني رفضت النشر، واتصل بي رسول من أشرف مروان تليفونيًا أكثر من مرة للتعجيل بنشر الحديث، ولكني اعتذرت عن عدم النشر».

هكذا رأى موسى صبري أن نشر الحديث قد يساعد على تلميع نجم أشرف مروان المتألق فيما كان يجاهد ويناضل هو ومن معه في إحراق هذا النجم حتى يخبو ويختفي من سماء مؤسسة ا لصحافة دونما سبب.. وهو ما يثير العديد من علامات الاستفهام والتعجب ، وكأن هناك جهة ما كانت تدفع موسى صبري لمواصلة دوره التحريضي دونما سبب يستحق كل هذا الهجوم العنيف وإن كنت أرى أن قلب موسى صبري الذي كان يقطر حقدًا ويتدفعه بالكراهية لأشرف مروان كان هو المحرض الرئيسي ومن ثم لا علاقة لأي جهة بمثل هذا الأمر المشين الذي ارتكبه موسى صبري.

إن أبسط قواعد الصحافة هي نشر الحقيقة حتى لو كنا نختلف معها، أو نرفضها، أو نمقتها، لكن أن نتعمد وأدها في رمال النسيان بدوافع كامنة في نفوسنا الضعيفة فهذا هو سر انحطاط الصحافة المصرية التي حركتها أهواء

أصحابها وروادها ورموزها.

تأمل موقف موسى صبري الذي تبوأ منصب رئيس تحرير كبرى المؤسسات الصحفية العريقة من شاب في مقتبل العمر أراد أن يصعد إلى سلم المجد بكفاحه ونضاله وذكائه وعبقريته..

إن موقف موسى صبري كان يدعو للاستفزاز والسخط والاشمئزاز فمثلاً حين قرر السادات إعفاء أشرف مروان من عمله في رئاسة الجمهورية وتكليفه بإدارة الهيئة العربية للتصنيع تكتشف أن شيئًا غريبًا في تكون موسى صبري إزاء أشرف مروان.

عندما صدر قرار ا لرئيس السادات بإعفاء أشرف مروان من كافة مناصبه في ١٠ أكتوبر ١٩٧٨ بالهيئة العربية للتصنيع صدرت جريد الأخبار التي يرأس تحريرها موسى صبري خبرًا بارزًا في صدر الصفحة الأولى يقول:

«انتهت أسطورة أشرف مروان.. قرار جمهوري بإقالته من الهيئة العربية للتصنيع».

بعد أن قرأ السادات الخبر استشاط غضبًا، وثار ثورة عارمة حتى بلغ به الحال ليعلن لوكالة الأنباء العالمية:

«أن أشرف مروان هو الذي بادر باستقالته، وأنه تولى منصب مبعوث لرئيس الجمهورية، وها هو الآن في طريقه إلى ثلاثة دول عربية لمقابلة ملوكها ورؤسائها حاملاً معه رسائل مني شخصيًا».

وكان موقف السادات لطمة على وجه موسى صبري الذي حزم أمتعته وغادر أخبار اليوم أسفًا وألمًا على موقف الرئيس السادات من عدوه وخصمه اللدود أشرف مروان.

والواقع أن هناك أنباء ترددت في ذلك الوقت أن منى عبد الناصر هرولت إلى

بيت الرئيس السادات وهي تبكي في أحضانه قائلة:

«يعني بنت عبد الناصر جوزها حرامي يا أونكل أنور؟!».

وربت السادات على كتفيها وهو يتميز غيظًا قائلاً:

«أنا هاتصرف يا منى يا بنتي أنا هاتصرف حالاً».

وقيل إن السيدة جيهان السادات التي تأثرت بشدة من دموع منى حرضت الرئيس على سرعة التحرك الفوري لتبيض صفحة أشرف مروان التي لطختها أقلام الصحافة المعادية له.

* * *

لم تكن الاتهامات التي طالت أشرف مروان تتعلق بخصومة وعداوة مع موسى صبري، بل راح بعض موظفي وزارة الخارجية يسربون خبرًا مثيرًا نشرته بالطبع مؤسسة أخبار اليوم يشير إلى سرقة مجوهرات تقدر بعشرات الألوف من غرفة نوم أشرف مروان بشقته بالعاصمة البريطانية لندن، وقد كلف رئيس تحرير أخبار اليوم مراسل المؤسسة في لندن الصحفي (زغلول السيد) بالبحث عن حقيقة الحادث وتوابعه، وقد بذل مراسل الأخبار قصارى جهده بين جميع الجهات الأمنية في لندن حتى تبين أن الخبر عار من الصحة تمامًا.

كان هذا الخبر الذي تابعه السادات لحظة بلحظة قد آثار حنقه من أخبار اليوم وممارساتها الاستفزازية ضد أشرف مروان الأمر الذي دفعه لتحريض أشرف بمقاضاة أخبار اليوم لمعاقبتها على موقفها، بيد أن مروان من جانبه رفض اللجوء إلى القضاء.

لم تكن هذه هي الفرية الوحيدة التي واجهها مروان، بل تعرض لمؤامرة أخرى كادت تطيح به تعلقت أيضًا بنزاهته وطهارة يده، حيث روج خصومه برئاسة الجمهورية أنه تلقى عمولة ضخمة في إطار من السرية تلقاها نظير بيع صفقة

سيارات برئاسة الجمهورية الأمر الذي دفع السادات لإحالة أشرف مروان إلى المستشار محمد أبو علم المنتدب للعمل برئاسة الجمهورية، وقد ثبتت براءته من خلال التحقيقات القانونية.

إذن أشرف مروان واجه خصومًا أشداء وعصابات تميزت بالقسوة والغلظة والحدة حتى بلغ الأمر باقتحام مسكنه على يد بعض أفراد أحد الأجهزة الأمنية الذين خططوا لاغتياله ، وقد تمكن أشرف مروان الجسور الشجاع من الإمساك بهم وتقييدهم بالحبال بعد أنْ علم أن جهة ما تناصبه العداء، وقد أخبر الرئيس السادات هاتفيًا بالأمر أثناء زيارته للقدس، وقد تعهد السادات بوضع حد لتلك الفوضى التي يواجهها أشرف بعد عودته من إسرائيل.

ولقد كان مشوار أشرف مروان الطويل حافلاً بالتحديات مليئًا بالأزمات والمشكلات، وقد كان جسورًا جريئًا في مواجهة خصومه حيث تميز بهدوء أعصابه إلى حد البرود القاتل المميت..

أصبح أشرف مروان نجمًا لامعًا ومتألقًا في مصر والطفل المعجزة كما سماه الكاتب الصحفي علي أمين، وإن ظل أشرف ظاهرة محيرة أثارت العديد من علامات التعجب والاستفهام عن سر صعوده وارتقائه وعلو مكانته، وعوامل انطلاقه، وبروز دوره داخل مؤسسة الرئاسة.

وراح البعض يتساءل : وهل ما يقوم به من دور في طلب المساعدات المالية من الأشقاء العرب لا يستطيع غيره القيام به أم أنه طفل معجزة ولد في زمن لم يعد صالحًا أو مواتيًا للمعجزات؟!

لقد كان أشرف سرًا غامضًا لدى كل من يعرفه رغم أنه كان يلعب على المكشوف في أغلب الأحيان، ويلعب دورًا خفيًا غامضًا لا يطلع عليه أحد سوى

الرئيس، وبعض رجاله في بعض الأحيان.

ظل السؤال الحائر معلقًا في رقبة السادات حتى حانت اللحظة التي كشف فيها أنور السادات النقاب عن حقيقة الدور الخطير الذي لعبه أشرف مروان الذي كان قد حصل على درجة الدكتوراه في علوم الكيمياء، وقد أشرف عليها الدكتور أحمد مصطفى وزير البحث العلمي في ذلك الوقت، ونالها في أواخر عام ١٩٧٤ من جامعة لندن.

كان السادات يتحين اللحظة المناسبة لتلميع صورة وتحسين سيرة الدكتور مروان الذي منحه نجمة سيناء عقب انتصارات أكتوبر ١٩٧٣ في حفل كبير برئاسة الجمهورية لعل أعداءه يدركون مغزى منحه نجمة سيناء التي لا يحظى بها سوى الأبطال والفرسان والذين ساهموا وضحوا أثناء معارك أكتوبر، لكن ظلت سيرة أشرف مروان على حالها لم تتغير، ولم تتبدل في عيون خصومه الذين نجحوا في تلطيخ سمعته وتشويه صورته، وإيذاء سمعته بوصفه لص المال العام والسمسار، والمرتشي والرجل الذي يستغل نفوذه، والرجل الغامض واللغز وغير ذلك من النعوت والأوصاف التي طالت أشرف مروان وتعلقت به.

لقد كان أشرف مروان رغم أنف خصومه شخصية ثرية يتحلى بدرجة هائلة من الذكاء، ورغم ما واجهه من شدائد فقد استطاع تحديث وتطوير سكرتارية المعلومات التي زودها بأحدث التقنيات والعلوم الحديثة لمواكبة التطورات العالمية، وربما كان ذلك وراء إصرار الرئيس السادات على تحويل سكرتارية المعلومات برئاسة الجمهورية إلى «مكتب اتصالات خارجية » بعد حرب أكتوبر.

كان السادات يهدف من وراء هذا القرار إلى توسيع صلاحيات الدكتور أشرف مروان في حرية الاتصال مع جميع البلدان الخارجية من أجل المصالح العليا لمصر.

نجح أشرف في مهام عمله داخل مؤسسة الرئاسة، ومن ثم تولى العديد من المناصب الحساسة والدقيقة منها على سبيل المثال مقرر اللجنة العليا لتنويع مصادر السلاح، وسكرتارية رئيس الجمهورية للمعلومات، ومسؤول اللجنة المصرية الليبية ، وغيرها من اللجان السياسية والاقتصادية والعسكرية.

* * *

(الدور الخفي لمروان)

كان أشرف مروان مثار لغط كبير وعلامات تعجب اجتاحت الرأى العام في مصر غير أن المصالح العليا للبلاد آثرت الصمت إزاء ما يجري ضد أشرف مروان لحين مجيء اللحظة المناسبة لكشف النقاب عن حقيقة دوره الخطير في النهوض بالمؤسسة العسكرية المصرية.

كان أشرف مروان قد حصل عى درجة الماجستير في علوم الكيمياء والمفرقعات، وقد انخرط في صفوف القوات المسلحة في هذا المجال لكسب المزيد من الخبرات.

وفي أثناء وجود أشرف للعمل في رئاسة الجمهورية بجوار الرئيس السادات كان قد تمكن من تأسيس شبكة علاقات قوية ومتينة واسعة ومتشعبة مع قادة ورؤساء الدول العربية، ومع المساعدين والمستشارين ومبعوثي رؤساء تلك الدول فضلاً عن رجال المخابرات في معظم بلدان العالم بدعم وإشراف ومباركة من الرئيس السادات شخصيًا لتسهيل المهام اللازمة والضرورية.

وفي أعقاب خروج الدكتور أشرف مروان من رئاسة الجمهورية مكلفًا بمهام رئاسة الهيئة العربية لتصنيع السلاح والذخيرة راح البعض يضرب كفًا بكف وأخماسًا في أسداس متسائلاً:

«إيه الحكاية بالضبط؟ نقول ثور.. يقول احلبوه!!»

مع علاقة سكرتير الرئيس للمعلومات خريج العلوم الطفل المدلل بالسلاح، وتصنيعه وتجميعه وتوزيعه وبيعه وشرائه وغير ذلك من الأشياء الضرورية التي

ستعتمد عليها الهيئة الوليدة.

لكن السادات الداهية ظل ساكتًا لا يبوح بما لديه من أسرار تتعلق بدور أشرف مروان الذي يتعرض يوميًا لمحاولات اغتيال معنوية حتى أن خصومه لا يهدؤون ولا يملون ولا يتراجعون ، وكأن إسقاط أشرف مروان قضية أمن قومي تتعلق بمصير الوطن ومستقبل البلاد أو هكذا توهموا..

ظل أشرف مروان على رأس الهيئة ا لعربية رئيسًا لمجلس إدارتها، وقد نجح كعادته في النهوض بها، والارتقاء بمكانتها لاسيما وأن بعض البلدان العربية كانت تشارك في تأسيس وإدارة الهيئة كمشروع عربي ولد من رحم حرب أكتوبر المجيدة.

وفي العاشر من أكتوبر ١٩٧٨ بعد حياة حافلة بالصعاب والنجاح الكبير قرر أشرف مروان أن يتقدم باستقالته إلى الرئيس السادات حتى تهدأ أعصابه بعد الحرب الضروس التي لا يزال خصومه يديرون معاركها كل صباح.

كان خصوم أشرف مروان وعلى رأسهم الأستاذ جلال الدين الحمامصي قد ندد مع غيره بالمزايا والمكاسب التي يتمتع بها أشرف مروان من حيث الراتب الشهري الذي بلغ ٢٠ ألف دولار شهريًا، والطائرة الخاصة التي يطير على متنها إلى أي مكان في العالم، والسهرات الحمراء التي يقضيها مع الأمراء العرب وبعض الساسة الليبيين على رأسهم عبد السلام جلود الذي يهرب إلى القاهرة كل أسبوع لقضاء سهرة حافلة بما لذ وطاب بعيدًا عن عيون الرئيس الليبي معمر القذافي الذي كان يفرض حظرًا على مثل هذه الممارسات أو هكذا زعم خصوم مروان.

واجه أشرف مروان حربًا ضروسًا دفعت الرئيس السادات مرة أخرى للدفاع عنه نافيًا عنه ما أثير حول السهرات الحمراء، وما تناثر حولها من أباطيل وأراجيف وأكاذيب.

أكد السادات أيضًا في سياق دفاعه عن أشرف مروان أن راتبه حددته الدول العربية المشاركة في الهيئة العربية للتصنيع والطائرة الخاصة هم الذين أحضروها له لمهام دقيقة وحساسة.

كان دفاع السادات شهادات ونياشين وأوسمة يتزين بها صدر أشرف مروان ذاك المقاتل الشرس المناضل العنيد الذي لم يكن يدخر جهدًا في خدمة بلاده رغم ما يتعرض له من اتهامات باطلة تفتقر إلى الصدق والإخلاص والعقل والمنطقة.

ضاق صدر أشرف مروان ونفد صبره وقرر أن يتخلى عن رئاسة الهيئة العربية للتصنيع ربما تتوقف حملات الهجوم الشرس والعنيف حتى يتسنى له العمل في مجال الاستثمار داخل مصر وخارجها بعيدًا عن العمل السياسي وتداعياته على مستقبله.

وعقب الإعلان عن تخلي أشرف مروان عن رئاسة الهيئة العربية للتصنيع هللت الصحف وانطلقت الزغاريد وكأن العدو الصهيوني قد رحل عن أراضي سيناء والجولان.

كانت الصحف تتحدث عن أشرف مروان بصفته لص مصر الكبير، وناهب خيراتها، وأحد أبرز أغنياء حرب أكتوبر، وهو ما دفع الرئيس السادات -رحمه الله- لتوجيه دعوى رسمية إلى لفيف كبير من رجال السياسة والاقتصاد والإعلام ورموز من قادة المؤسسة العسكرية لحضور حفل تكريم الدكتور محمد أشرف مروان!!

كان الخبر قد نزل على خصوم الرجل كالصاعقة حيث كانت الدعوة براقة وحافلة بالمعاني وهو ما دفع بعض خصومه بامتناعهم عن حضور الحفل.

أما كلمة الحفل التاريخي التي ألقاها الرئيس السادات فقد كانت شهادة

ميلاد بطل قدم لمصر العديد من الخدمات والتضحيات والمكاسب والمزايا فضلاً عن أنها كانت أعظم شهادة لتبرئة ساحة أشرف مروان.

أضف إلى ذلك أن إصرار الرئيس السادات على منح الدكتور أشرف مروان وسام الجمهورية من الطبقة الأولى عرفانًا بدوره وتقديرًا لجهوده، وإيمانًا بعطائه وتأكيدًا على إخلاصه ووطنيته واعترافًا بأهميته لا سيما وأن الكلمة التي ألقاها الرئيس السادات كان لها أبلغ الأثر على مشاعر أشرف مروان وزوجته.

كان الرجل في تلك الأثناء يتطلع إلى لمسة وفاء، أو باقة ورد أو كلمة شكر وثناء ومدح، وإطراء بعد معارك طاحنة كادت تقضي عليه، وتؤدي به إلى المهالك.

كما أن زوجته منى كثيرًا ما اعتصرها الألم على حال زوجها الذي نعته خصومه بأبشع الأوصاف التي لا تستقيم ولا تتواءم مع من وهب عمره،وحياته، وأفنى شبابه في خدمة هذا الوطن، وبذل قصارى جهده من أجل راحته وسلامته وأمنه واستقراره.

والواقع أن كلمة الرئيس السادات التي ألقاها في أثناء الاحتفال بتكريم أشرف مروان عقب قبول استقالته من رئاسة الهيئة كانت تجمع كل الأماني والتطلعات والأحلام التي كان يصبو إليها أشرف وزوجته، وربما كانت تتجاوز خيالاته وتفوق تصوراته لا سيما وأن الرجل الذي حصل على نجمة سيناء لما لها من مغزى اليوم يتسلم من رئيس الجمهورية وسامًا من الطبقة الأولى يمنح للذين تفانوا وأخلصوا في خدمة الوطن، واستطاعوا النهوض بمكانته وعلو هامته.

ويبقى السؤال الذي أجاب على جميع علامات الاستفهام ووضع حدًا لكافة علامات التعجب.. ما الذي يورد على لسان الرئيس لإعلان شأن أشرف مروان الكلمة التاريخية التي ألقاها في الحفل أمام كبار رجال الدولة وأذاعها التلفزيون على الهواء مباشرة.

لقد قال الرئيس السادات بالنص موجهًا حديثه لأشرف مروان الذي كان كعادته متألقًا مشرقًا هادئًا مبتسمًا.

«إنني أمنحك وسام الجمهورية من الطبقة الأولى تقديرًا لما قمت به نحو بلدك.. خاصة أحلك الأوقات وأثناء معارك أكتوير المجيدة.. ويجب أن يعلم الجميع أنه في الوقت الذي كانت فيه القوات الجوية في أمس الحاجة إلى قطع الغيار لتقوم بمهامها القتالية.. .

كانت جميع المصانع في أوربا مغلقة فقمت أنت بمجهودك الشخصي في توفير قطع الغيار اللازمة لها.. مما مكن القوات الجوية من تحقيق مهامها القتالية بالكفاءة المطلوبة».

إذن كان الرئيس السادات حين كان يوجه حديثه إلى أشرف مروان كان يقصد في الأساس خصومه وأعداءه الذين أرهقوا أنفسهم وأهدروا أحبار مطابعهم في تأليب الرأي العام على أشرف مروان لجهلهم بما قدمه الرجل لهذا الوطن بشهادة رئيس البلاد.

ثم إن الرئيس السادات أزاح الستار عن حقيقة كانت خافية على الكثيرين حيث تبين للقاصي والداني من هو أشرف مروان وأن الذين تهكموا عليه وأطلقوا عليه لقب «الطفل المعجزة» كانوا يسخرون من أنفسهم حيث أنه قد حقق معجزات للوطن في مرحلة خطيرة ومثيرة وعنيدة تتعلق بتطوير وتقوية أهم أسلحتها القتالية التي كان لها الفضل في إحراز النصر على العدو الصهيوني.

في تلك الأثناء كان الرئيس حسني مبارك يشغل منصب نائب رئيس الجمهورية وقد شغل منصب قائد سلاح القوات الجوية أثناء تلك الفترة التي تحدث عنها الرئيس أنور السادات ومن ثم كان مبارك يتابع عن كثب أداء أشرف مروان وبطولاته وعطائه لهذا الوطن في أحلك الظروف التي مر بها وأخطر

الساعات التي شهدها في توظيف خطير وعبقري لشبكة علاقاته الهائلة والمتشعبة في جميع أنحاء العالم وهو ما دفع مبارك للدفاع عن أشرف مروان أكثر من مرة بعد أن حاصرته الشائعات ولاحقته الأباطيل كما هو معتاد لقد انتصر الرئيس مبارك للطفل المعجزة الذي أصبح الرجل الخارق الأسطورة التي حطم أسطورة الموساد الذي زعم أنه لا يقهر.

على أية حال انتهى الحفل التاريخي الذي برهن للعالم على وطنية الرجل الذي كاد يفترسه الحقد وكادت تهلكه الأنانية وبات قاب قوسين أو أدنى من الموت على يد زبانية الظلم والافتراء.

خرج أشرف مروان من الحفل وقدعقد العزم على طلاق السياسة طلاقا بائنا لا رجعة فيه والاتجاه كليا إلى الاستثمار والتجارة والمقاولات حتى يهدأ خصومه وتسكن خواطرهم الثائرة.

لكن هل عاش أشرف مروان في هدوء بعيدا عن ضجيج خصومه ووشاياتهم وأكاذيبهم وافتراءاتهم أم أنهم مضوا في معركتهم التي انتهت بوفاته؟

الواقع أن أشرف مروان الذي بادر من تلقاء نفسه وقدم استقالته التماسا للراحة وهدوء الأعصاب واستعادة عافيته واسترداد صلابته التي كادت تتكسر أمام الهجمات الشرسة الحادة والعنيفة.. الواقع أن هذا الرجل فوجئ أن الحملة الصحفية الشرسة تحولت نحو أبيه اللواء أبو الوفا مروان بصفته رئيسا لمجلس إدارة شركة الأسواق الحرة بمدينة نصر حيث كالوا له الاتهامات المثيرة التي كان أقلها أنه نهب أموال الشركة وتلقى هدايا ورشاوى عديدة وأنه يعمل بنقود نجله وأنه لص الشركة والرجل الذي نجح في إفلاسها واتهامات خطيرة لم يسلم منها أشرف مروان ولم يكن والده بمنأى من الوقوع تحت سيفها شأنه في ذلك شأن ابنه أشرف.

* * *

خرج أشرف إلى الدنيا الواسعة ينشد الهجرة خارج البلاد والاستقرار في العاصمة البريطانية لندن قلعة رجال الأعمال العرب وكبار رجال المال في العالم لما لتلك المدينة من مناخ هادئ يدفع لتنشيط حركة التجارة العالمية.

كانت لندن عاصمة الضباب الكثيف هي المحطة التالية التي توقف فيها قطار الرجل الخارق أشرف مروان لعله يلتمس بها راحة فقدها في وطنه واستقرارا تاق إليه وأمانا غاب عنه وحبا لم يستشعره فهل عثر أشرف مروان على ما فقده في مصر أم أنه واجه نفس المتاعب والمصاعب والأزمات التي واجهها في حصن وطنه الأم؟!

الفصل الثالث

مروان . . الملياردير العالمي

حمل أشرف مروان حقائبه وأمتعته وأوراقه وزاده وزواده للاستقرار في عاصمة الضباب والبدء في إدارة أعماله التجارية متوكأ على علاقاته القوية والكثيرة والمتشعبة والمتفرعة في كل أنحاء الدنيا من أكبر رأس في مصر ومرورا بأصدقائه في ليبيا والسعودية والأردن خاصة وأن الملك حسين كان صديقا شخصيا له.

ولم يكن مستغربا أن يسأله هنري كسينجر وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية أثناء مرافقته للرئيس السادات في أثناء زيارته لواشنطن عن أحوال صديقه الملك حسين وكان مألوفا أن يجيب عليه أشرف مروان قائلا في ثقة سوف أجيب عليك بعد تناول العشاء يا دكتور هنري.

كانت الهيئة العربية للتصنيع التي تولى أشرف رئاسة مجلس إدارتها عدة سنوات قد أغدقت عليه بالمال الكثير الذي استطاع من خلاله تسخيره لتأسيس العديد من المشروعات العملاقة.

صحيح أن البعض كما أشرنا قد شكك في ذمة أشرف المالية أثناء وجوده على رأس الهيئة بيد أن هذه الاتهامات الظالمة كانت تفتقد المنطق كما كانت عادة الذين يهاجمونه آنذاك فالثابت يقينا أن أموال الهيئة العربية للتصنيع لم تكن دون رقابة أو مجرد «مال سايب» لا صاحب له بل كانت هناك حزمة من الإجراءات والقوانين الصارمة التي تحفظ للهيئة هيبتها ومكانتها وأموالها وتعمل على تحقيق أهدافها التسليحية.

وللتأكيد على صحة ما نقول أن أشرف مروان كان يدير الهيئة خلال لجنة يرأسها الأستاذ «أحمد زندو» محافظ البنك المركزي الأسبق وكان مدير عام الهيئة سعودي الجنسية ومدير الشئون المالية من الأمارات وكانت تسمى حينئذ لجنة استثمار الهيئة وكانت منوطة بإدارة أموال الهيئة وظلت تتولى هذه اللجنة مهام عملها حتى توقفت في مايو عام ١٩٧٩ بعد أن انسحبت الدول الداعمة للهيئة بعد معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية ليسلم الأستاذ أحمد زندو رئاسة الهيئة خلفا لمروان المهم أن أشرف مروان الذي ترك عالم السياسة راح يؤسس شركة الاتحاد العربي للاستثمار لتكون مقرا له في القاهرة وبعض العواصم العالمية كبداية جادة وقوية وخطيرة في مجالات البيزنس والاستثمار.

ولأن أشرف مروان كان عضو لجنة تطوير الأسلحة بين مصر وليبيا وعضو المجلس الأعلى للمشروعات الفنية في مجال الطاقة النووية بين مصر وليبيا ومقرر اللجنة العليا للتسليح والتصنيع الحربي فقد استثمر تلك المناصب السابقة في مجالات استثمار ضخمة وواسعة النطاق مع رموز وأباطرة المال من خلال شراكة ما ربطته بأصدقائه القدامى في ليبيا والسعودية.

من هنا ومن خلال تلك الخلفية قام أشرف مروان بجسارته المعهودة في عام ١٩٨٠ بعرض شراء حق امتياز استخراج النفط الليبي نظير مبلغ مالي كبير بلغ ٢ مليار دولار لصالح إحدى الشركات الأوروبية والتي كانت تتخذ من مدينة

لوكسمبورج مقرآ دائما ورئيسا لها.

مـامن شك أن أشـرف مـروان الـذي اعتـاد على النجـومـيـة والتـألق والظهـور الإعلامي والرجل الذي تلاحقه علامات الاستفهام وتتعلق به علامات التعجب كان يسعى جاهدا في لندن وجميع العواصم الأوربية لكي يبقى كما هو مثار حيرة للآخرين سـواء في مصر أو في خارجها حيث استهوته تلك اللعبة بعد أن كان يضيق منها ذرعا في الماضي.

الواقع أن صفقة البترول الليبي لم تكن هي بداية صعوده وإن كانت هي بداية لمعان نجمه في سماء البيزنس العالمي لقد بدأ أشرف مروان عمله في أوربا من خلال منطقة شهيرة ببساطتها في ضاحية شمال لندن تسمى «سكاليواج» وهي تشتهر لدى الجميع بأنها سوق مفتوحة على مصراعيها ورائجة حيث يتردد عليها الآلاف من السائحين كل عام.

في منطقة «سكاليواج» كان بها مكان اشتهر باسم «أسطبل الخيول» وكان كما هو واضح يستخدم في إيواء الخيول التي كانت تحمل على متنها طوال ساعات النهار البضائع التي تتناقلها الوكالات القديمة.

وفي كتـابه «من الذي قـتل ديانا» يقـول المؤلف البـريطاني الشـهـير سـيمـون ريجـــان[١] عن هذا الحي العريق «أن معـالم هذا الحي تغيرت كثيرا حتى أن مجلس بلدية «كامدن» التي يتبع لها هذا الحي قرر بعد اجتماع طارئ تسليمها إلى مجموعة من الفنانين والحرفين لبناء ورش عمل فيها.

وفي مرحلة السبعينيات كانت معالم الحي تختلف اختلافا هائلا عما كانت عليه في الماضي ومن ثم تغيرت خريطة المنطقة تغيرا كاملاً أما السوق فقد أضحى حيًا سكنيًا راقيًا فيما تحولت محطة السكك الحديدية ومخازن البضائع

(١) أطلق على أشرف مروان لقب جيمس بوند المصري!!

إلى شقق فاخرة بلغت أرقاما تفوق الخيال ولم يكن مدعاة للدهشة أن تتحول «سكاليواج» قبلة جميع رجال الأعمال والاستثمار والذين يبحثون عن التربح السريع والثراء الصاروخي.

أما حكاية هذه الاسطبلات التي كانت في الماضي ملجأ خاص بإيواء الخيول فقد كان أشرف مروان هو الذي قام بشرائه من خلال تمويل حصل عليه من شركة «كويرا» العالمية وكان أشرف مروان ضمن الأعضاء الذين ساهموا في رأسمال هذه الشركة.

من هنا بزغ نجم مروان الذي أصبح حديث رجال البورصة البريطانية ورموز المال والأعمال وقد تسربت حقيقة علاقته الوطيدة مع الرئيس أنور السادات وزواجه من ابنة الرئيس جمال عبد الناصر عمدا حتى يستطيع بذكاء فتح الأبواب الموصدة أمامه.

كان هناك من يريد أن يضع يده في يد هذا الرجل الذي كان في مطبخ القرار السياسي في مصر في الستينيات والسبعينيات والوثيق الصلة بأشهر رؤساء مصر على الإطلاق.

ومن منطقة الاسطبلات التي بدأ منها مروان بدا كما لو كان قد امتطى أمهر وأعرق وأقوى وأسرع جواد لينطلق به نحو القمة عبر حواجز عالية وشاهقة وصلبة استطاع جواد مروان القفز عليها والوثوب بأقصى ما لديه من سرعة.

كان أشرف مروان الذي غادر القاهرة إلى لندن لا يملك سوى مئات الآلاف فقط من الجنيهات وها هو يحيل تلك الآلاف إلى الملايين ثم المليارات

لقد نجح أشرف مروان أن يستثمر نجاحه في منطقة اسطبل الخيول ليبدأ

بعدها في تأسيس مكتب خاص بالعقارات والمقاولات تخصص في بيع وشراء وإبرام العقود وعقد الصفقات العقارية نجح مكتب أشرف مروان وأضحى من أشهر وألمع المكاتب العقارية في العاصمة البريطانية ثم سرعان ما قام أشرف بشراء أسهم كبيرة في حصة متاجر «ماي فير» الشهيرة ثم بعدها راح يشتري أسهم متجر وبلومسيري ثم متجر ويست أند الشهير بلندن ازداد ثراء أشرف مروان وأصبح أشهر رجل أعمال عربي في أوربا.

كانت هناك أقاويل عديدة طاردت أشرف مروان تدور أغلبها حول علاقته بتجار السلاح ودوره البارز في تمرير صفقات ضخمة من خلال شركات ومصانع الأسلحة في لندن وباريس إلى بعض الدول والمنظمات بالمشاركة مع أحمد قذاف الدم ابن عم الرئيس الليبي معمر القذافي.

لكن أشرف مروان الذي اعتاد طوال مشوار حياته على مواجهة مثل هذه الادعاءات لم يكن يأبه مثل هذه المزاعم وإن كنت من جانبي لا أستبعد قيام أشرف مروان بالعمل في مقاولات السلاح نظرًا لخبراته السابقة ودوره الخطير والبارز في دعم مصر قبل وأثناء حرب أكتوبر من خلال علاقاته القوية مع أصحاب مصانع السلاح، ورؤساء الدول وقادتها على مستوى العالم وتجارة السلاح تجارة مشروعة دولياً وغير محرمة حيث إن سماسرة السلاح يلعبون أهم الأدوار في ترويج الأسلحة الحديثة سرًاوعلنًا وبمشاركة من المجتمع الدولي باستثناء توريد الأسلحة إلى المنظمات الإرهابية والجماعات الراديكالية المتشددة.

انطلق أشرف مروان بسرعة الصاروخ إلى سماء المال والاستثمار وبدا عنيدًا وصلبًا لمنافسيه لا يهدأ ولا يلين ولا يضعف مهما كان نفوذ الآخرين.

بدأ أشرف في غضون السنوات العشر الأولى من وجوده في العاصمة البريطانية لندن يتوسع ويتضخم وينتشر كالأخطبوط حتى تضاعف خصومه وتكاثر أعداؤه، لا سيما وقد غامر بشراء أراضي نادي تشيلسي وفولهام، والعديد من المسارح الإنجليزية العريقة فضلاً عن شرائه أسهمًا في فريدر هاوس قيل إنها قدرت في منتصف الثمانينيات بمبلغ ٤ ملايين جنيه إسترليني، وراح يشارك أحمد قذاف الدم في تجارة المقاولات كما شارك الملياردير الشهير (تيني رولاند) أشهر رجل أعمال بريطاني وصاحب جريد الأبزرفور البريطانية، بشراء ٤٠ ٪ من شركة تريدز ويند للأسلحة، وكانت «لونر هو» إحدى شركات رولاند الرئيسية التي تمتلك ٦٠ ٪ من أسهمها، وكان مروان قد عين مديرًا لها بالاتفاق مع رولاند، وكانت أشهر الشركات المتخصصة في توريد الأسلحة بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية..

في خلال تلك الفترة اشترى أشرف مروان طائرة خاصة يجوب بها العالم كلما شاء، وأراد لتمرير صفقاته وتسهيل مهامه.

صراع مروان والفايد

اعتاد أشرف مروان على المعارك الجانبية والمباشرة والعنيفة منذ مطلع شبابه في مصر، وداخل مؤسسة الرئاسة المصرية ومنذ عهد الرئيس جمال عبد الناصر، وخليفته الرئيس السادات.

كان أشرف مروان قليل الكلام كثير الإنصات، هادئ الأعصاب، لا يميل إلى العنف والصياح والصراخ عند مناقشة خصومه، بل كان يتصف بالرصانة والعقلانية والحكمة على عكس من كانوا على شاكلته حيث تفور أعصابهم وتثور دون أدنى جهد لكن في لندن ومع تقدم العمر ومع شراسة الخصوم وعنف الأعداء ربما اختلفت الظروف وأضحى أشرف مروان عصبي المزاج، يثور وتهيج أعصابه كلما واجه أزمة أو صادفته عقبة رغم شهرته التي بلغت الآفاق في العاصمة لندن بين أبناء الجالية العربية بطيبة قلبه، ودماثة خلقه، وطهارة يده، وعطائه المتدفق، ومساعدته للفقراء منهم والمحتاجين، والذين ضاقت بهم السبل حتى نال لقب عمدة المصريين بجدارة يستحقها دون منازع، وربما جاء صراع أشرف مروان مع آل الفايد من أقوى وأشهر وأخطر الصراعات منذ قدومه إلى لندن واستقراره بها نظرًا لخطورة وقوة خصمه الرهيب.

وغير خاف على أحد حلقات الصراع العنيف بين أشرف مروان من جهة، وآل الفايد من جهة أخرى حتى كانت أنباء هذا الصراع المحموم تتصدر صفحات الجرائد العربية والعالمية، وكان من المألوف لدى الرأي العام أن يتعرض مروان لحملة شنتها الصحف العربية ضده تعاطفًا وتأييدًا لآل الفايد دون وجه حق الأمر الذي أثار دهشة مروان من أصحاب الأقلام الذين دافعوا عن آل الفايد

دون سند ولمجرد تجديد العداوات والخصومات القديمة مع أشرف مروان.

كان آل الفايد قد غادروا مصر في أعقاب ثورة يوليو التي أممت وصادرت ممتلكاتهم وأغلقت مصانعهم بالأسكندرية، ومن خلال رحلة شقاء وكفاح ونضال وعمل شاق وطويل استطاع آل الفايد من تدشين أكبر إمبراطورية اقتصادية يملكها ملياردير مصري في بريطانيا حتى أضحى حديث الإعلام الأوربي بكافة أدواته.

والواقع أن صفقة محلات هارودوز التي نجح آل فايد في شرائها عام ١٩٨٣ بمبلغ قدر في ذلك الحين بحوالي ٦٥٠ مليون جنيه إسترليني قد أثار استغراب وذهول جميع رجال الأعمال على مستوى العالم لاسيما وأن هارودوز كانت أهم المتاجر التي تتردد عليها الأسرة الملكية البريطانية لشراء لوازمها مما ساهم في إبراز ومكانة هارودوز لدى الشعب الإنجليزي.

قبل إتمام تلك الصفقة تمكن آل الفايد من امتلاك العديد من الفنادق الشهيرة والمعروفة لدى جميع الأوربيين خصوصًا الذين ينتمون للطبقات الأرستقراطية حيث اشترت مجموعة الفايد «دون ششتر» الشهير بالعاصمة البريطانية ، ثم تمكنت المجموعة ذاتها من شراء فندق ريتز الذي شهد العشاء الأخير للأميرة ديانا التي كانت برفقة عماد الفايد نجل الإمبراطور العنيد محمد الفايد، وقد لقيا مصرعهما عقب خروجهما من هذا الفندق العريق، ثم اشترى الفايد قصر دوق وندسور أحد أشهر وأعرق القصور البريطانية، وهي الصفقة التي اعتبرها الشعب البريطاني صفعة على وجهه على يد الفرعون المصري الذي يتغلغل في أحشاء المجتمع البريطاني.

وفي أعقاب نجاح الفايد في تدشين مجموعاتهم وتوسيع دائرتها من خلال شراء محلات (هارودوز) الشهيرة شعر الشعب الإنجليزي أن الأمر أصبح خارج حدود السيطرة حتى أن أحد الأدباء الإنجليز الذين ساءهم توحش إمبراطورية

الفايد راح يقول :

«علينا أن نحافظ نحن أبناء الشعب الإنجليزي على برج لندن، وإلا سنستيقظ ذات صباح على من يخبرنا ببيع البرج للأجانب العرب.

كان أشرف مروان يناصر صديقه وشريكه الملياردير (تيني رولاند) لمناصرته في شراء متاجر هارودوز الأمر الذي أثار غضب واستياء الفايد وناصبوه العداء لتبدأ حرب الوشايات والتلفيقات وتبادل الاتهامات بين الطرفين، ولم يقف الصراع بينهما على تبادل الاتهامات، بل امتد على أرض الواقع في منافسة حامية الوطيس تابعها العالم، وراقب خطواتها انتظارًا لما ستسفر عنه في النهاية.

ولأن أشرف مروان أراد شراء أسهم نادي فولهام الإنجليزي الذي كان أشهر أندية الدرجة الثانية تدخل محمد الفايد بنفوذه وثروته الضخمة لإفشال صفقة مروان ليتمكن من شراء النادي نكاية في عدوه وغريمه ومنافسه أشرف مروان بغض النظر عن مصير تلك الصفقة.

في نفس الوقت راح أشرف مروان المعروف بصلابته وعناده وشموخه وإصراره على التحدي يشتري عددًا كبيرًا من أسهم نادي تشيلسي الإنجليزي الذي كان أقوى أندية الدرجة الأولى الإنجليزية لدغدغة أعصاب الفايد..

وهكذا احتدم الصراع بين العملاقين اللذين استقرا في لندن هربًا من جحيم القاهرة وسياستها التي أممت مملتكات الفايد فأجبرته على الرحيل ، وصحافتها التي أرهقت أعصاب مروان فألزمته على الفرار بعيدًا عن مخالبها التي كانت تنهش في لحمه كل صباح دون أن تهدأ أو تتوقف.

الفصل الرابع

خطة الموساد الإسرائيلي

بعد أن نشرت بعض الصحف الأمريكية والإسرائيلية والبريطانية حلقات مسلسلة طويلة تدور حول علاقة أشرف مروان بجهاز الموساد الإسرائيلي منذ عام ١٩٦٩ وحتى عام ١٩٩٩ بالقيام بأعمال تجسسية تصب في صالح تل أبيب والرجل يعيش لحظات مأساوية كادت تفتك به وتفترسه وتصيبه بمس من الجنون.

بدأت فصول المأساة حين قام أحد قادة أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية بنشر تفاصيل العلاقة التي ربطت أشرف مروان أو (مستر بابل) كما أطلق عليه رجال الموساد، وبين رئيس جهاز الاستخبارات الإسرائيلية على اعتبار أن أشرف مروانه صنيعة إسرائيلية نجحت المخابرات الصهيونية في زرعه داخل بيت الرئيس جمال عبد الناصر، ومن بعده الرئيس السادات.

كان الهدف من وراء تجنيد أشرف مروان وفقًا للمزاعم الإسرائيلية نقل أدق

الأسرار وأخطرها من مراكز صنع القرار السياسي في مصر لحظة وقوعه مقابل مئات الآلاف من الدولارات نظرًا لأهمية العميل وخطورة مكانته، وأهمية وظيفته فضلاً عن كونه زوج ابنة رئيس البلاد.

وقبل أن ندلف إلى تفاصيل تلك القصة العبثية التي راجت وشاعت على يد الآلة الإعلامية الصهيونية ينبغي أن نشير إلى أن الأمر لا يعد دفاعًا عن أشرف مروان حيث إن الرجل كان أكبر وأعظم وأشرف من أن يلوث تاريخه الوطني على يد اعتادت إشاعة الظلم، وتعميم الفوضى ، وتلطيخ الشرفاء، وتشويه العظماء، وتكسير عظام الأبطال.

إذن الادعاء بأن أشرف مروان تورط حتى أذنيه في عمليات تجسس لصالح إسرائيل هو أمر من قبيل:

١ – الهراء والإسفاف، بل والاستخفاف .

٢ – التشكيك في ذكاء جمال عبد الناصر ووطنيته.

٣ – التشكيك في دهاء السادات وإخلاصه لأمته،

٤ – الانتقام من أشرف مروان جزاءً لما قدمه لبلاده من خدمات وبطولات كشفت سذاجة هذا الجهاز الهش.

وعلى الرغم من أنها ادعاءات مضحكة تخلو من الحكمة والمنطق وتتصف بالسخافة والسذاجة وقلة الحيلة وضيق الأفق ونفاد الصبر، بيد أن لدينا حزمة من أصحاب القلم الذين ورثوا الضغائن والأحقاد والكراهية نحو أشرف مروان قد أطربهم ما روجته الصحف الإسرائيلية وأشاعته حول أشرف مروان وكأن هناك ثأرًا قديمًا بينهم، وبين الرجل الذي لاحقته طعناتهم حتى الرمق الأخير من حياته.

لم يكن لدى هؤلاء القدرة على التحلي بالصبر والاستعاذة بالله من الشيطان

الرجيم حتى يتمكنوا من كشف النقاب عن وجه الحقيقة قبل أن يبتلعوا الطعم الذي ألقمته لهم الصحافة الإسرائيلية فانساقوا من ورائها كالقطيع ، كالنعاج، كالأغنام يرددون دون وعي ما تنشره تل أبيب وكأن قائد المخابرات الإسرائيلية الأسبق لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، أو كأنه لا ينطق عن الهوى!!!!!

إيه يا صحافة مصر.. إلى هذا الحد بلغت بكم السذاجة والبلاهة حتى تتهالوا على الرجل بالسكاكين الحادة والمسنونة لتنهش لحمه في سلخانة تدفق فيها أحبار حمراء بفعل دراكولات البشر الذين يعيشون على ذبح وسلخ خصومهم قبل أن يشربوا من دمائهم، وكأنه ماء طهورًا سلسبيلاً.

لقد ارتكبت بعض الأقلام المصرية أخطاء يشيب لها الولدان في استغلال فاضح لحرية الصحافة التي أتاحت لهم حرية الذبح والسلخ والتعبئة والترويج والتوزيع.

منذ متى كانت الصحافة الإسرائيلية هي مصدر الأخبار الصادقة والأنباء الصحيحة، والقصص الواقعية، والروايات الحقيقية..

منذ متى أصبح عاموس وزعير وجولدمائير وزئيف إيجال هم الأساتذة المخضرمين الذين ينبغي علينا أن ننهل من منابعهم وكأن الصحافة الإسرائيلية أكاديمية للعلوم أو الإعلام الهادف الصادق الذي يجب أن نحرص على دراسته والتعلم على يديه!!

الأمر يا سادة لا يتعلق بالبطل أشرف مروان، بل إن الموضوع أكبر من ذلك، حيث إن الهدف هو مصر عبد الناصر، ومصر السادات، ومصر مبارك.. حتى يتشكك الرئيس في الذين حوله والذين يحرسونه كأن إسرائيل تريد أن تؤكد أنها زرعت وستزرع في مكتب الرئيس من يدين بالولاء لها نظير حفنة من الدولارات.

الأمر لا يستهدف أشرف مروان فقط، بل يستهدف كل الشرفاء والوطنيين في هذا الوطن..

صحيح أن إسرائيل أرادت من وراء هذا الأمر أن تنتقم من الرجل الذي صفعها كما سبق أن صفعها رأفت[1] الهجان من قبل، ولو كانت إسرائيل قد تنبهت لحقيقة رأفت الهجان قبل أن يرحل عن الدنيا لكانت قد ألقت بها من الشرفة أو تخلصت منه رميًا بالرصاص انتقامًا على ما قام به ضدها.

مرة أخرى.. يبقى السؤال الملح والهاجس الذي يفرض نفسه:

لماذا خرجت علينا تل أبيب بالكشف عن دور أشرف مروان المزعوم في أكتوبر ١٩٧٣ في عام ٢٠٠٢ ثم بعد ذلك في يونية ٢٠٠٧؟!

بالطبع كشفت إسرائيل النقاب عن دور الرجل في ٢٠٠٢ بحجة مرور ٣٠ عامًا على انتصار العرب على إسرائيل، ومن ثم أرادت إفساد فرحة العرب ولا سيما مصر من خلال الإعلان عن حقيقة أشرف مروان.

أما الهدف من النشر مرة أخرى في يونيه ٢٠٠٧ بمناسبة مرور ٤٠عامًا على حرب يونيه ١٩٦٧ بيد أن الحقيقة التي يجب الالتفات إليها أن تل أبيب أرادت من وراء هذا النشر أن تنجح على نحو أو آخر من تلميع صورة جهاز الموساد الإسرائيلي الذي تلطخت سيرته في الأوحال بعد عدة ضربات إجهاضية أصابته بالتولة و الذهول على يد المخابرات العامة المصرية منذ تاريخ الكشف عن حقيقة البطل المصري الأسطورة (رأفت الهجان)[1] الذي استطاعت المخابرات المصرية من خلال رجالها العباقرة والذين سطروا بذكائهم وجسارتهم وشجاعتهم أروع صفحات المجد والفخار والعز والانتصار لهذا الوطن على حساب جهاز الموساد

---

(١) الاسم الحقيقي : رفعت علي سليمان الجمال.

الذي خارت قواه وضعفت مكانته وتضاءلت حيلته على يد عباقرة هذا الجهاز المنيع.

كما أراد جهاز الموساد الإسرائيلي تحسين صورته وسيرته بعد الهزيمة الثقيلة التي مني بها على يد رجال حزب الله في حرب يوليو ٢٠٠٦ وما قامت به منظمة حماس من مهاجمة مواقعها الحصينة من خلال خطة عسكرية وضعها جناح حماس العسكري بذكاء وعبقرية أذهلت جميع الخبراء..

ناهيك عن حرب أكتوبر ما أحدثته من شرخ في جدران الأمن والاستقرار الإسرائيلي، ولا سيما وأنها الحرب التي أجهضت مخططات تل أبيب في تفعيل مشروعاتها التوسيعة فضلاً عن نجاح القوات المسلحة المصرية في كسر إرادتها وذراعها الطويلة، أضف إلى ذلك أن جهاز المخابرات العامة المصري نجح في خداع وتضليل جهاز الموساد الإسرائيلي في أكبر عملية تمويه مارسها جهاز استخباراتي على مستوى العالم.

وللتأكيد على ما أصاب جهاز الموساد الإسرائيلي بالتولة والذهول من ممارسات جهاز المخابرات المصري هو إصرار إسرائيل على محاولة الرد الانتقامي على عملية (رأفت الهجان) حيث أوفدت تل أبيب من خلال خطة دقيقة رسمها جهاز الموساد شابًا إسرائيليًا يحمل اسمًا ثلاثيًا كان الهدف من الاسم الثلاثي الذي يحمله هذا الشاب هو الزعم بأنه الابن الوحيد لرأفت الهجان وهو يطلب حق الإقامة في مصر على اعتبار أنه ابن شرعي له يريد أن يعيش في وطن آبائه وأجداده.

والحاصل أن مصر الإعلامية وصالوناتها استقبلت ابن رأفت الهجان استقبالاً رائعًا حيث التقى خلاله مع رموز المجتمع المصري من رجال المال والأعمال والصحافة والسياسة..

ولكن سرعان من كشفت المخابرات العامة المصرية الخطة التي دبرتها المخابرات الإسرائيلية حيث كان المخطط الخطير يهدف إلى تغلغل الابن المزعوم لرأفت الهجان في صالونات ومنتديات وكواليس المجتمع المصري الأرستقراطي حتى يتسنى له الوصول إلى صناع القرار السياسي في مصر من خلال علاقاته مع الأسر والعائلات الحاكمة على اعتبار أنه صديق لتلك العائلات التي كانت تتطلع لصداقته إعجابًا وامتنانًا بدور والده الوطني والنبيل والعبقري.

لكن استطاع جهاز المخابرات المصري أن يفضح حقيقة هذا الشاب حيث إن ملفات رأفت الهجان والتي تحتفظ بها المخابرات العامة تؤكد على أن عميلها في إسرائيل رأفت الهجان يعاني من أحد الأمراض المزمنة في إحدى الغدد التي تصيب المرء بالعقم وعدم القدرة على الإنجاب، وهو ما يتعذر معه أن يكون لرأفت الهجان ولدًا من صلبه، ومن ثم تنبهت المخابرات المصرية إلى خطورة الأمر وأصدرت تقريرها العاجل بطرد الشاب الذي زعم أنه الابن الوحيد لرأفت الهجان ليتحطم المخطط الإسرائيلي على أيدي رجال المخابرات العامة المصرية.

أضف إلى ذلك سقوط العديد من شبكات التجسس الإسرائيلية التي زرعتها تل أبيب في مصر وتمكنت أجهزة الاستخبارات المصرية من كشفها وفضحها وضربها في المهد قبل أن يستفحل خطرها..

إذن الأمر لم يكن من قبيل المصادفة أو الحكاية العابرة، بل الأمر معد سلفًا وهناك جهات عدة تفرغت وانكبت وانهمكت لدغدغة أعصاب المخابرات العامة المصرية وإرهاقها وجرها إلى ساحة حرب كلامية تفقد جهاز المخابرات هيبته ومكانته التي حافظ عليها طوال السنوات المنصرمة.

والواقع أن حرب الموساد مع مصر وبالتحديد فيما يتعلق بتحطيم معنويات الشعب المصري وتشكيكه في رموزه هو أمر لم يكن جديدًا بل مارسته المخابرات الإسرائيلية منذ نشأتها.

على سبيل المثال حين أشهرت ليلى مراد إسلامها وتخليها عن الديانة اليهودية في الوقت الذي كان اليهود العرب يحملون أمتعتهم لتل أبيب أثار ذلك التصرف حفيظة ضباط الموساد الذين قرروا الانتقام من الفنانة الأصيلة ليلى مراد حيث زعموا أنها ما زالت يهودية وأنها تتبرع سرًا لدعم دولة إسرائيل وهو الاتهام الذي لاقى قبولاً لدى بعض البلدان العربية التي أصدرت أوامرها بمنع إذاعة أغاني ليلى مراد.

ما من شك أن مثل هذا الأسلوب الماكر أدى إلى تحطيم معنويات الفنانة ليلى مراد التي استنجدت بالرئيس جمال عبد الناصر تناشده سرعة التدخل وتشكيل لجان تحقيق معها حتى تتبين للشعوب العربية وجه الحقيقة.

والواقع أن الرئيس جمال عبد الناصر كان على يقين من خلال جهاز المخابرات المصرية أن ليلى مراد تواجه حربًا شرسة بعد أن أشهرت إسلامها، وقد تعمدت أجهزة الأمن المصرية إعلان براءة الفنانة ليلى مراد من الشائعات التي تلاحقها وأكدت أن أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية هي التي روجت هذه الشائعات الخبيثة التي استهدفت معنويات الشعوب العربية.

والحاصل إن إعلان براءة ليلى مراد أدى إلى استعادة شعبيتها التي كادت أن تفقدها طوال تلك الفترة العصيبة حتى أعادت البلدان العربية بث أغانيها مرة أخرى .

وقد قررت ردًا على هذه الشائعات إنتاج فيلم «الحياة حب» الذي يحكي قصة فتاة (ليلى مراد) ارتبطت عاطفيًا مع الجيش المصري الذي يسعى ويقاتل لتحرير فلسطين.

ولم تقف الاتهامات المضللة عند هذا الحد، بل امتدت إلى رموز فنية أخرى جاء في مقدمتها الفنان المصري الأصيل ابن البلد الشهم محمود المليجي بعد أن

تزوج من الفنانة اليهودية (علوية جميل) والتي رفضت التعاون مع المخابرات الإسرائيلية فشنت على زوجها حربًا شعواء استهدفت بث كراهية الشعب المصري له بعد أن عشق أدواره الفنية التي ألهبت مشاعره، لكن الفنان المصري استطاع تفنيد الادعاءات الإسرائيلية مؤكدًا ولاءه لبلده وانتماءه لترابه وعشقه لأهله، وأنه ضحية لشجاعة زوجته التي رفضت الهجرة إلى إسرائيل.

أما الراقصة سامية جمال فقد كانت هي الأخرى إحدى الفنانات التي استهدفت سيرتها جهاز الموساد انتقامًا من الملك فاروق حيث كانت قد راجت شائعات تربط بين الملك فاروق وسامية جمال نسبتها أجهزة المخابرات الإسرائيلية من وحي خيالها، وقد لاقت قبولاً لدى الرأي العام المصري.

ولأن الملك فاروق كان محبوبًا لدى كافة فئات الشعب المصري فقد روجت المخابرات الإسرائيلية فرية ارتباط سامية جمال بإسرائيل من أجل التشكيك في الملك فاروق وإظهاره على أنه دمية في يد المخابرات الإسرائيلية، وأنه يلهث وراء شهواته ونزواته ، ولا يعبأ بما يجري من حوله.

والشاهد أن بعض الأقلام أكدت فيما بعد أنه لم تكن هناك أية علاقة بين سامية جمال وفاروق، وأن سامية أقسمت على كتاب الله أنها لم تكن تربطها أية علاقة مع الملك إلا عن عفة، بل إن الملك لم يسع هو إلى ذلك معها إطلاقًا!!

إذن الموساد اعتاد على انتهاج مثل هذا الأمر بوصفه سلاحًا فعالاً في تدمير معنويات الأعداء فضلا عن إمكانية نجاحه في تشكيك الشعب المصري، وارتيابه في وطنية بعض الذين أحبهم خاصة الرموز الوطنية أو ا لفنية وقد لعبت بعض الأجهزة الاستخباراتية العالمية هذه اللعبة في الماضي.

على سبيل المثال كان جهاز الاستخبارات الألماني يهوى ممارسة تلك اللعبة القذرة ضد قادة الحلفاء الذين روعتهم اتهامات تمكنت مخابرات هتلر من

ترويجها حول تجسس بعض القادة لصالحهم الأمر الذي أدى إلى حالة من البلبلة وفقدان الثقة لدى البعض حتى تبين أنها حرب نفسية تلعبها المخابرات الألمانية بكفاءة ومهارة واقتدار بفعل ذكاء جوبلز وزير دعاية هتلر.

كما أن أجهزة مخابرات (السي أي إيه) الأمريكية ولـ (كي جي بي) السوفيتية كثيرًا ما مارسوا هذه اللعبة في الستينيات والسبعينيات حتى تبين لهم مدى قذارتها وانحطاطها حتى أن الجهازان اتفقا على وقف وتجميد مثل هذه الأكاذيب.

إذن أشرف مروان الذي سنفند ما روجته تل أبيب من أكاذيب لاقت قبولاً لدى بعض السذج والدهماء في بلادنا قد استخدمت تلك الأسلحة التي سبق أن مارستها من قبل مع الرموز الوطنية، واستطاع الشعب المصري بذكائه المعهود على الوقوف على وجه الحقيقة بعيدًا عن إملاءات ووصايات تل أبيب التي يتناولها البعض كأنها تعاليم كتاب مقدس لا ينبغي التشكيك في نصوصه رغم إدراك هؤلاء أن إسرائيل ما هي إلا أكذوبة تأسست على قواعد باطلة وما بني وارتفع على باطل فهو باطل رغم أنف هؤلاء جميعًا.

الفصل الخامس

عشاء مروان الأخير

ما من شك أن أشرف مروان ذاك الرجل اللغز الذي تربع على قمة المجد والشهرة والثراء قبل أن يدلف إلى عامه الثلاثين قد أضحى محط إعجاب وحسد الآخرين، وربما لذلك كان سيرة تتلوكها الأفواه وحكاية تتناقلها الألسنة وحدوتة تستحق أن تروى.

لأن هذا الرجل العملاق الذي استطاع أن يجسد حكاية بطل إثار دهشة الجميع كثيرًا ما واجهته المصاعب والمتاعب والشدائد بعد أن تربع على عرش المال والجاه والسلطة والنفوذ كأنه قد وجب عليه سداد ضرائبها وفواتيرها وحقوقها.

على الرغم من الأمراض الخطيرة التي داهمته لكنه لم يكن يشكو أو يتوقع أو يستدر عطف الآخرين بل كما اعتاد البعض رؤيته صلبًا عنيدًا، قويًا، متماسكًا، مرحًا.

لقد عانى أشرف كثيرًا بقدر ما عاش سعيدًا ، عاش قويًا بقدر ما عاش مريضًا وضعيفًا حيث كان يعاني من قائمة لا حصر لها من الأوجاع والأمراض الخطيرة والمؤلمة والمزمنة.

على سبيل المثال لا الحصر تردد أنباء غير موثقة أنه أجرى ٢٣ عملية جراحية بعضها أجراها على مرأى ومسمع من أفراد أسرته جميعًا وبعضها الآخر أجراها بعيدًا عنهم نظرًا لعدم خطورتها على الإطلاق.

والواقع أن الرجل الذي بدا في عيون محبيه وخصومه عملاقًا، قويًا بهامته الفارعة ونظرات عينيه المتوحشة، وابتسامته الساحرة، كان يتألم من قسوة الأمراض التي داهمته وأجهدته ومن ثم أدرك أن الصراعات مع الفايد وأمثاله لم تعد ذات جدوى وأن العطاء هو الذي سيبقى وسيدوم، ومن ثم راح يغدق بأمواله على الفقراء والمحتاجين.

ومن جملة عطاياه وتبرعاته التي اعتاد عليها لا سيما في السنوات الأخيرة هو قيامه بشراء سيارتين إسعاف لخدمة أبناء الجالية المصرية في لندن ومثلهما في باريس بعد تدخل من الدكتور حاتم الجبلي وزير الصحة المصري الذي كان في زيارة للعاصمة البريطانية لندن، وطلب من أشرف مروان القيام بشراء تلك السيارات الطبية على وجه السرعة لخدمة أبناء الجالية المصرية.

كان أشرف مروان أيضًا قد اعتاد منذ مدة طويلة تبني قافلة طبية إنجليزية مكونة من أشهر وأمهر وأبرع أطباء الجراحة في أمراض القلب والصدر والكلى والكبد لإجراء العمليات الجراحية اللازمة للمرضى المصريين في مستشفياتها بالقاهرة والأسكندرية وشبين الكوم ودمنهور على نفقته الخاصة.

كما خاض معركة قضائية مع مجلس حي (كير جتون أندتشيلسي) من أجل الحصول على موافقة قانونية لإقامة صلاة الجمعة من كل أسبوع ودون أية مضايقات.

أضف إلى ذلك قيامه بدفع أموال طائلة لمعالجة مرضى محتاجين من أبناء الجالية المصرية بلندن، وتحمل نفقات نقل الموتى منهم إلى القاهرة فضلاً عن إنفاقه على وجبات الإفطار التي كانت تقيمها الجالية المصرية إلى جانب كعك العيد.

ثم حرصه الشديد على تأسيس جمعية (صحة مصر) التي أنشئت من أجل مراعاة صحة الشعب المصري من خلال قوافل طبية إنجليزة تتولى القيام بفحص الحالات الحرجة والخطيرة في أنحاء مصر.

لقد كان أشرف مروان رجلاً اشتهر بحب العطاء والخير لوطنه الذي ظل ساكنًا في قلبه طوال سنوات الغربة التي عانى فيها كثيرًا من قسوة وكثرة الجراح والآلام التي لم تبارحه حتى لفظ أنفاسه الأخيرة.

عانى الرجل من أمراض خطيرة كان أكثرها إيلامًا مرض يسمى (سليب إبنيا) تعرض للإصابة به نتيجة جلطة في المخ داهمته قبل وفاته ببضع سنوات وكان هذا المرض يقف حائلاً بينه وبن عملية التنفس الطبيعي خلال النوم، وهو ما اضطر معه للاستعانة بجهازين للتنفس كان يستخدمهما عند النوم فقط لمواجهة هذا الأمر الشاق والمؤلم.

كانت مشكلة أشرف مروان أن جسده يتقبل حدوث الجلطات بسرعة ودون أية عوائق الأمر الذي كان يضطر معه للتوجه كل فترة إلى مستشفى (كيلافلاند كلينك) لإجراء بعض الفحوصات الطبية لمواجهة أية جلطات قد يتعرض لها.

كما أصيب أشرف أيضًا بمرض السرطان اللعين الذي سكن وتمدد وتوحش في غدده الليمفاوية بيد أن الأطباء قد تمكنوا من محاصرته والقضاء عليه قبل أن يستفحل خطره ويفترس جسده، وكان غريبًا أن الرجل لم يكن يأبه لمثل هذه الأمراض،وقد كان قويًا متينًا لا يهتز، بل كان صابرًا راضيًا بما قسمه الله له.

لم يكن ذلك هو نهاية رحلة آلام هذا العملاق، بل تعرض أيضًا لقصور في الشرايين التاجية في القلب، الأمر الذي دفعه للخضوع القسري لإجراء العديد من العمليات الجراحية في مقدمتها عمليات: قسطرة، وتوسيع بواسطة البالون، ثم اضطر أمام استمرار ضيق شرايينه أن يخضع لإجراء عمليات تركيب (دعامات) أو (كباري) لتسليك وتوسيع مجرى الدم المتدفق في الشرايين، وكثيرًا ما عانى أشرف في تلك العمليات التي كانت تعاود آلامها المبرحة بوخزات شديدة وعنيفة في منطقة الصدر.

أضف إلى ما سبق ما أشرنا إليه أنه كان مصابًا بمرض غريب وخطير حيث تعرضت ركبته لمداهمة فيروس رهيب كان يسبب له آلامًا رهيبة ومؤلمة كان يضرب جدران غرفته بيده من شدة ما يصاحبها من ألم!!

وقبل أن يرحل أشرف مروان بمدة ربما لم تكن تتجاوز ثلاثة أشهر قد تردد على مستشفى (رويال بريومتو) الشهير، وقد أجرى بداخله عملية مسح ذري بعد تعرضه للإصابة بالسرطان مرة أخرى، وفي أثناء الفحوصات الطبية التي أجراها داخل المستشفى تبين له من خلال أشعة مقطعية خضع لها قسرًا أن هناك قصورًا جديدًا في شرايين قلبه التاجية الأمر الذي كان يتطلب إجراء عملية قلب مفتوح لتركيب شرايين جديدة حيث إن الدعامات قد فشلت في أداء مهمتها، ومن ثم أصبحت غير ذات جدوى.

كان أشرف مروان في حيرة من أمره بعد أن تكالبت عليه الأمراض من كل جانب بين أورام وجلطات وفيروسات نادرة وخطيرة، هل يستسلم للموت، أم يستمر في مواجهة المرض حتى الرمق الأخير من حياته.

نهاية الأسطورة

لقد كان هذا الرجل أسطورة في حياته، ومثيرًا للتأمل والإعجاب والعطف والشفقة رغم أنه كان عنيدًا صلبًا، لا يلين ولا ينكسر، ورغم ذلك فقد انكسر وتحطم وهوى من صرحه وسط ذهول محبيه ودهشة خصومه، وفرحة أعدائه وشماتتهم.

ففي الساعة الواحد و ٢٩ دقيقة عثر على محمد أشرف مروان ملقى في حديقة منزله بعد أن سقط أو أسقطه أحدهم من شرفة مسكنه الكائن في ٢٤ شارع كارلتون هاوس المتفرع من منطقة سان جيمس القريبة من قصر بكنجهام الملكي الشهير..

والعمارة التي سقط من شرفتها أشرف مروان تقع في أحد الشوارع المسدودة وهو شارع يقع بالقرب من نادي السيارات الذي كان أشرف مروان يحمل كارنيه العضوية.. صحيح أن البعض لا يزال يصر على أن الرجل عاش غامضًا ومات في حادث أشد غموضًا وأنه سوف يبحث في زمرة الغامضين.. إذا جاز التعبير- لكن لا الرجل كان غامضًا، وقد أوضحنا ذلك من خلال معاملات الرجل المكشوفة للجميع، والذي كان يمارس أعماله جهارًا نهارًا، ولا حتى موته كان شديد الغموض حيث الدوافع معروفة لا تحتاج إلى جهد أو عناء في التفكير والتأمل.

اتهام الفايد

عقب مصرع الدكتور أشرف مروان راحت أصابع الاتهام من بعض الناس تتجه صوب العملاق والفرعون محمد الفايد وهو ادعاء باطل ينطوي على تخمينات وافتراءات وخدمة لأغراض إسرائيلية بهدف التشويش وإثارة البلبلة بين الجميع.

بادئ ذي بدء كان أشرف مروان على خلاف علني ومعروف للقاصي والداني مع آل الفايد وإن كان أشرف مروان من جانبه قد أكد لمن حوله أنه قد طوى تلك الصفحة أو أسقطها من ذاكرته، ولم يعد يحمل في قلبه مثقال ذرة من الكراهية لآل الفايد بيد أن الفايد هو الذي كان يجاهد حتى رحيل أشرف مروان بعد أن كراهيته له.

والواقع أن محمد الفايد الذي لم يكن يخفي كراهيته الشديدة وخصومته لأشرف لكل من حوله لا يستطيع بحال من الأحوال أن يتورط في ارتكاب مثل هذا الحادث خاصة وأنه هو الذي كان يبادر بالهجوم العلني على خصمه العنيد والمقاتل الشرس أشرف مروان.

أضف إلى ذلك أيضًا أن محمد الفايد الذي يعلم أن أعداءه لا حصر لهم قد ينتهزون تلك الفرصة للانقضاض عليه والقضاء على إمبراطوريته خاصة وأنه لا يزال يعاني من رفض السلطات البريطانية منحه الجنسية الإنجليزية حتى الآن.

باختصار اتهام محمد الفايد كان واردًا ومحتملاً ومقبولاً، ومن ثم لم يكن الفايد على استعداد للوقوع تحت طائلة القانون البريطاني الذي لا يرحم كائنًا من كان.

لكن تاريخ أشرف مروان الوطني والمشرف في نضاله، ودوره الجسور في خداع وتضليل إسرائيل يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك ضلوع إسرائيل وتورطها في حادث اغتيال أشرف مروان بهدف الانتقام من الرجل الذي صفعها وطعن غرورها وكبرياءها.

قتل أم انتحار

طبيعي أن تكون وفاة الرجل مفاجئة وصدمة محيرة ومثيرة للجميع سواء أفراد أسرته أو أصدقائه أو زملائه أو محبيه أو حتى خصومه خاصة أن سقوطه من شرفة منزله كانت تضاف إلى سلسلة من الحوادث تعرض لها الفريق الليثي ناصف، ومن بعده سعاد حسني كأن مرتكب الجريمة هو شخص بعينه أو جهاز أمني يهوى ارتكاب مثل هذه الحوادث وبنفس الطريقة دون غيرها.

وظني أن جهاز الموساد الذي تورط في ارتكاب هذا الحادث انتقامًا من خيانة أشرف مروان له والإصرار على اغتياله بنفس الطريقة كان يهدف إلى تضليل أجهزة الأمن البريطانية كأن الذي ارتكب حادث الليثي ناصف وسعاد حسني هو أيضًا الذي ارتكب حادث أشرف مروان، ومن ثم يتجنب الموساد أزمة خلافية قد تندلع مع الخارجية البريطانية!!

وقبل الحادث بساعات كانت شقيقته الصغرى عزة قد قامت بزيارته قبل ساعتين من وقوع الحاديث وقد غادرت المسكن الذي يقيم فيه أشرف متوجهة إلى إحدى المراكز الطبية لإجراء عملية لحفيدتها وقد أكدت عزة أن شقيقها كان مشرق الوجه يضحك من القلب، تتدفق الحيوية على ملامحه والبسمة الصافية ارتسمت على شفتيه كما هي عادته عند لقائه به، ولم يكن حزينًا أو بائسًا، ومن ثم استبعدت شقيقته عزة أن يكون شقيقها قد أقدم على الانتحار.

أما زوجته السيدة منى جمال عبد الناصر فقد أكدت عقب وفاة زوجها أن أشرف مروان لا يمكن بحال من الأحوال أن ينتحر لأنه -على حد تعبيرها- إنسان قوي، ولم يكن أبدًا ضعيفًا، وأضافت أن أشرف الذي تعرض لمتاعب

وهموم وصعاب كثيرة وكبيرة كان يملك القدرة على مواجهتها بما عرف عنه من شجاعة وصلابة وقوة ، ثم إن زوجي -رحمه الله- كان مؤمنًا بالله يؤدي الصلوات بانتظام كما أنه قام بأداء فريضة الحج، وكان يعرف واجباته نحو ربه، ويعلم أن الانتحار يتعارض مع المؤمن، وكان رجلاً صابرًا على ما أصابه من أمراض، ولذلك مستحيل أن ينتحر زوجي .. هذا هراء ومن يقول ذلك يريد خدمة أغراض وأهداف يسعى البعض للتعتيم عليها.

أنا أقول وكلي ثقة بما أؤمن به زوجي لم ينتحر.. لم ينتحر إطلاقًا.. إطلاقًا.. إطلاقًا.. أنا أعرف معرفة وثيقة منذ ٤٢ عامًا أعرف خلجات نفسه، نقاط قوته، ونقاط ضعفه، أعرف ما يدور في داخله، ولذلك أقول وأنا على يقين أشرف مروان لم ينتحر.. ثم.. ثم كيف ينتحر هذا الرجل وقد أخبرني في آخر مكالمة لي معه عبر الهاتف لازم نجهز نفسنا للحج إلى بيت الله هذا العام، وقد تحدث مع السيد أحمد عبد الوهاب مدير المراسم في هذا ا لأمر، وقال لي بالحرف: «لقد تحسنت صحتي بشكل كبير، وأحمد الله على ذلك، ولكن قبل أن نتوجه للحج يجب أن نقوم بأداء العمرة في أوائل شهر سبتمبر القادم، وأقسم بالله أننا كنا نستعد منذ تلك المكالمة لذلك.

وتضيف السيدة منى جمال عبد الناصر زوجة أشرف مروان في حديثها لبعض الصحف المصرية والأجنبية أنها كانت تتحدث مع زوجها عبر الهاتف نحو ٢٠ أو ٣٠ مرة في اليوم الواحد خاصة أنها كانت تقيم كثيرًا في القاهرة فيما كان أشرف يقيم بشكل دائم في لندن، ومن ثم كانت كثيرة التردد على لندن للإقامة معه بعض الوقت ثم العودة بجوار ابنيها جمال وأحمد اللذان يعملان في مجال الفضائيات والاستثمار في القاهرة وإدارة شركات والديهما..

وتضيف منى أن أشرف كان يتحدث معها أيضًا عبر جهاز كمبيوتر من خلال نظام «الفيديو كول» وقد تحدثت معه صباح يوم حادث وفاته وكان عاديًا وأخبرني

يومها في تلك المكالمة أنه بصدد الذهاب إلى نيويورك، وراح يتحدث معي في أمور حياتية كنا نتناولها يوميًا في مكالماتنا، ولم يتبين لي أنه يشعر بالاكتئاب أو اليأس، وقد أخبرته أنني في بيروت لشراء فستان من أجل حضور حفل زفاف ابنة آل المغربي، وسوف أتوجه إليه عقب انتهاء الحفل مباشرة وساعتها حدثني طويلاً عن رغبته العارمة في أداء الحج.

أما ابنه جمال فقد أكد أن والده تلقى تهديدات بالقتل قبل وقوع الحادث بيومين، وأنه قد أجرى ثلاثة اتصالات بمكتبي، ولم أكن موجودًا خلالها وقبل الحادث بيوم حدثني هاتفيًا، ونصحني بحل مشكلاتي مع نجيب ساويرس، وقد استبعد نجله فكرة الانتحار تمامًا حيث أكد أن والده كان مؤمنًا ومتماسكًا بتعاليم دينه، وأن مسألة الانتحار غير واردة بالمرة..

من جانبه أكد صديقه رجل الأعمال الفلسطيني رمزي دالاوي الذي كان على علاقة وثيق ربطته بأشرف مروان منذ عام ١٩٩٣ أن أشرف مروان كان رجلاً سخيًا، ومتدينًا جدًا، بل ملتزمًا بتعاليم الدين الإسلامي حيث كان مواظبًا على أداء الصلوات كما أنه لم يكن يتعاطى الكحوليات فضلاً عن حرصه الشديد على أداء فريضة الحج دائمًا، ومن ثم يتعذر علينا قبول فكرة قدومه على الانتحار، لأنه كان على يقين أن من ينتحر يموت كافرًا وفقًا لتعاليم الدين الإسلامي.

فيما أوضح صديقه الإنجليزي تشارلز رياتشي أن أشرف كان صديقًا وأبًا وزوجًا رائعًا، ولا أتصور أن رجلًا في صفات أشرف يمكن أن يلجأ للانتحار فهذا لا يستقيم مع قوة وصلابة هذا الرجل الذي عرف عنه تماسكه وجسارته وشجاعته وقدرته على مواجهة الأزمات والمشكلات، أما مسألة الأمراض فقد اعتاد عليها ولم يكن يشكو منها على وجه الإطلاق إلا نادرًا.

أما شقيقه هاني مروان فقد أكد أن أشرف كان شخصية تتمتع بالقدرة على التحدي والتحمل وللتأكيد على ذلك فقد تعرض شقيقي للعديد من الأمراض منذ

عام ١٩٩٩ وحتى وفاته، وقد أجرى خلال تلك الفترة التي أصيب فيها بأمراض متعددة أكثر من ٣١ عملية جراحية منها ٣ جراحات قلب مفتوح فضلاً عن تركيب دعامات بسبب إصابته بمرض وراثي يحمله جين متوحش يهاجم جسده، وطوال فترة عذابه لم يشكُ لأحد، ولم يتعرض للاكتئاب، بل هناك بعض الجراحات التي أجراها دون أن نعلم بها حتى لا يثير إزعاجنا، و اختتم حديثه أن شقيقه كان بصدد السفر إلى أمريكا في نفس يوم وفاته وأن شقيقته أكدت لنا أنه كان كعادته لم تظهر عليه علامات الاكتئاب، إذن الادعاء بأن مروان قد أقدم على الانتحار لإنهاء مأساة عذابه اليومي مع المرض أمر مستبعد ويصعب القيام به مع رجل مؤمن يواظب بشهادة أصدقائه وأفراد أسرته على أداء الصلوات وفريضة الحج بانتظام.

كيف قتلوه؟!!

ما دام أشرف مروان لم ينتحر فأمر اغتياله على يد الموساد أصبح أمرًا أكيدًا وغير مستبعد وهو ما سوف نسوق مبرراته فيما بعد، أما كيف تخلص هذا الجهاز الأمني الإسرائيلي منه وبأية طريقة فهذا هو ما ينبغي الوقوف أمامه، والبحث في تفاصيله حتى يمكننا أن نضع أيدينا على الحقيقة.

وكما أشرنا فإن جهاز الموساد قد أقدم على الطريقة التقليدية التي ماتت بها سعاد حسني، ومن قبلها الليثي ناصف وكأن الحادث وقع بأيدي مصريه هذا وإذا افترضنا ارتكاب الحادثتين على أيدي مصرية، وهو أمر أظنه غير وارد أيضًا.

المهم أن أشرف مروان الذي كان يستعد للسفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية سقط من شرفة مسكنه ظهر يوم الأربعاء ٢٧ يونيو ٢٠٠٧ على يد مجهولين رغم وجود خادمة المنزل التي فوجئت بأحد الأشخاص يطرق باب المسكن ليخبرها أن سيدها جثته ملقاة في حديقة العمار..

عقب الحادث هرعت أجهزة الأمن البريطانية على رأسها شرطة سكوتلانديارد الشهيرة بكفاءتها وبراعتها التي فرضت حظرًا شاملاً على التحقيقات الواسعة التي أجرتها عقب الحادث، صحيح أن البوليس البريطاني سيعجز عن كشف دوافع الحادث ومعرفة من الذي يقف وراءه حيث إن الحادث يقع في إطار حرب رفيعة المستوى يمارسها جهاز الموساد انتقامًا من الذين خدعوه وضللوه، لكننا لسنا بحاجة إلى التحقيقات ونتائجها التي سوف تنتهي إلى مجهول كما هو معتاد من سكوتلانديارد إزاء الحوادث التي يتعرض لها بعض المصريين المقيمين في لندن.

على أية حال علينا أن نجتهد ونحاول أن نصيب كبد الحقيقة في مقتل من خلال بعض الشهادات التي وردت على لسان أصدقاء مروان الذين أدلوا لبعض الصحف والمجلات في أعقاب وقوع الحادث ..

بعض هذه الروايات التي أوردها الزميل مجدي الجلاد في جريدة المصري اليوم تشير إلى أن أشرف مروان ألقى بنفسه من شرفة منزله وفقًا لأقوال وردت على لسان شهود عيان أدلوا بها أثناء مثوله للشهادة أمام شرطة سكوتلانديارد.

وقد تقدم أربعة شهود بينهم مصري واحد فقط لشرح التفاصيل الأخيرة في حياة أشرف مروان بهدف تقديم يد العون والمساعدة وإنارة الطريق المظلم لشرطة اسكوتلاند يارد ربما تستطيع من خلال تلك الشهادات الوصول إلى الجاني الذي يقف وراء ارتكاب هذه الجريمة.

أكدت المصادر التي استقى منها الزميل مجدي الجلاد معلوماته أن الشهود الأربعة هم : عصام شوقي العضو المنتدب لمصنع الكيماويات الذي يمتلك أشرف مروان نحو ٩٠ ٪ من أسهمه وهو بالمناسبة زوج ابنة فوزي عبد الحافظ سكرتير الرئيس السادات، والذي كان أشرف مروان يعمل بجواره أثناء اشتغاله برئاسة الجمهورية فضلاً عن ابنة فوزي عبد الحافظ كانت سكرتيرة لفترة طويلة في مكتب أشرف مروان.

أما الشاهد الثاني فهو سكرتير أشرف ويدعى مايك بارك هورست وهو بريطاني الجنسية، وآخران من أصل مجري كانا برفقتهما أثناء وقوع الحادث.

وتؤكد المصادر الأربعة الذين كانوا في انتظار قدوم أشرف مروان إليهم حيث كانوا على موعد في قاعة اجتماعات بمعهد المديرين الذي يواجه شقة مروان مباشرة.

أضاف الشهود أيضًا :

«إننا حين استشعرنا تأخير أشرف مروان عن الموعد المحدد معنا نهض عصام

شوقي من بيننا لمحادثته هاتفيًا لاستطلاع سبب تأخيره، وعما يعتزم حضور الاجتماع أم لا، بيد أن أشرف مروان أبلغه عبر المكالمة أنه لن يتمكن من الحضور الأمر الذي اضطر معه عصام شوقي للإلحاح عليه من أجل حثه على المجيء وقد كان عصام شوقي يزداد تمسكًا بحضوره وقد أبدى أشرف استجابة حقيقية له في الحضور بعد أن يفرغ من ارتداء ملابسه، وطلب أن ننتظره نصف ساعة فقط..

وأضاف الشهود في أقوالهم :

«أنهم وقفوا معًا في شرفة معهد المديرين في انتظار مجيء أشرف مروان وقد لاحظوا أن أشرف كان يخرج إلى بلكونة منزله في حالة (غير طبيعية) وأكدوا جميعًا أنهم شاهدوه وهو يترنح ويكرر دخول البلكونة وينظر في كل مرة أسفل العمارة ثم إلى الخلف ثم يتحرك يمينًا ويسارًا ثم يدخل الغرفة مرة أخرى الأمر الذي دفع عصام شوقي بمعاودة الاتصال به لمعرفة ماذا يحدث، وفي كل مرة كان مروان يجيب بأعصاب اتسمت بالاضطراب والانفعال والتوتر:

«نازل.. نازل.. ثم سرعان ما يعيد النظر مرة أخرى إلى الخلف وأسفل العمارة».

ومضى الشهود يؤكدون لشرطة سكوتلاند يارد أن أشرف مروان صرخ في آخر مكالمة مع عصام شوقي قائلاً:

«اسمع يا عصام.. أنا مش جاي.. مش جاي ثم شاهدوه مرة أخرى ينظر للخلف للمرة الأخيرة ثم ألقى بنفسه من البلكونة.

وأكدت نفس المصادر (للمصري اليوم) أن عصام شوقي هرع على الفور إلى مكان الحادث بعد أن شاهد بنفسه مروان وهو يلقي بنفسه من الشرفة حيث وجده ملقى على الأرض، وقد تحسس نبضه بواسطة يده فتأكد أنه ما زال على

قيد الحياة، بيد أنه كان فاقداً للوعي، وسرعان ما لفظ أنفاسه الأخيرة قبل مجيء سيارة الإسعاف بدقائق معدوده.

ومن جانبه أكد الطب الشعري البريطاني أن أشرف مروان لم يكن قد تناول أي مواد (غير طبيعية) ليزداد الحادث غموضاً.

والواقع أن الأمر لا يحتاج إلى تفسير حيث إن أشرف مروان كان على وعي كامل بما يجري من حوله، وإلا ما كان قد ذكر اسم عصام شوقي قبيل سقوطه من شرفة المنزل.

ولو كان أشرف قد فقد رشده أثناء الحالة التي بدا عليها وفقاً لأقوال الشهود ما كان قد تذكر اسم عصام شوقي أو أخبره أنه لن يأت إطلاقاً، بل كان قد تجاهل الرد على الهاتف، وعجز عن تشغيله أو معرفة سبب هذه المكالمة الخاصة باستدعائه!!

لكن يبدو أن هناك بعض الأشخاص الذين باغتوا أشرف، ويبدو أنهم خيروه بين أكثر من طريقة في الموت انتقاماً منه، وربما أخبروه بأنه إما أن يلقي بنفسه طواعية أو يلقى مصيراً أكثر وحشية وقسوة وعنف ودموية ربما كان ذلك وهو ما دفع أشرف للجوء إلى السقوط من الشرفة، ربما ينجو بنفسه من براثن هؤلاء الذين فوجئ بهم في غرفته.

هذا إذا كانت رواية (المصري اليوم) صحيحة وحقيقية وتخلو من الهراء أو التضليل والخداع.

لكن في كل الأحوال ووفقاً لآراء أقارب أشرف وشقيقته إن الرجل ألقى به من الشرفة أو ألقى هو بنفسه منها هرباً من بعض الذين هجموا عليه عنوة.

والحاصل أن الأشخاص الذين كان دائم الاتصال بأشرف مروان وهو الباحث والمؤرخ اليهودي (الدكتور أهارون روني برجمان) الذي فجر قضية العلاقة بين

أشرف مروان وجهاز الموساد الإسرائيلي، وقد كان قائد كتيبة مدفعية وواحدًا ممن التحقوا للعمل في جهاز الاستخبارات وبعدها استكمل دراسته ونال شهادة الدكتوراه، وقد أصدر كتابه الشهير (تاريخ إسرائيل) الذي تعرض من خلاله إلى علاقة أشرف مروان بالموساد الإسرائيلي، وقد التقى مع أشرف مروان مرة واحدة بعد أن كشف عن شخصيته صراحة بدلاً من الأسلوب التلميحي الذي اتبعه في كتابه وذلك ردًا على مقولة أشرف للكاتب الصحفي عادل حمودة رئيس تحرير جريدة (صوت الأمة) آنذاك أن ما ورد في الكتاب محض افتراء وقصة بوليسية ساذجة من وحي الخيال.

أكد برجمان في حواره لجريدة الأهرام أنه مضطر لكشف اسم أشرف مروان زاعمًا أنه بذلك يحفظ مصداقيته لدى القراء الذين يلهثون وراء كتاباته في كافة أنحاء الدنيا، وأنه كان يأسف للكشف عن شخصية أشرف مروان.

أريد أن أقول إن هذا المؤرخ اليهودي الأصل الاستخباراتي سابقًا قد تحدث مع أشرف مروان يوم الحادث، وهو ما يثير التكهنات حول الهدف من تلك المكالمة، وهل لها علاقة مباشرة بالحادث، أم لا لاسيما وأننا قد أكدنا أن المؤرخ يهودي الديانة وكان يعمل من قبل ضابطًا في جهاز الموساد.

السؤال الآن : إن الموساد يعلم أن التخلص من أشرف مروان ليس بالأمر الهين، ومن ثم يتطلب الأمر تدبير خطة دقيقة وعبقرية من أجل تنفيذ هذا المخطط مع رجل يجيد تضليل الآخرين، ويتميز بالذكاء في ممارسة كافة فنون الخداع والتمويه، بل إن برجمان نفسه اعترف بعد وقوع الحادث أن أشرف من الشخصيات العصية على الوقوع في شباك الاصطياد حيث كان بارعًا في التخفي والتمويه، ولا يعرف له مكان محدد، وتحركاته يحيطها بإطار مغلف بالسرية التامة فضلاً عن امتلاكه كافة أدوات ووسائل الحماية، وأكد برجمان أنه كان على موعد معه يوم الحادث، ولكنه لم يتصل بي حتى أتوجه إليه.

الأمـر الثاني أن برجمـان نفسـه أجـرى اتصـالا بينه وبين مـروان قبل وقـوع الحـادث بيوم، وقد نشرت عدة صحف بريطانيـة وأمريكيـة نص المكالمة الأخيـرة بينهما:

برجمان: أهلاً كيف حالك؟

مروان: على ما يرام.. كيف حالك أنت؟ لقد وصلني طردك.

برجمـان: لقـد أكدت المحكمـة الجنائيـة في إسرائيل اتهامهـا (زعيـرا) رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية بأنه هو الذي بادر من تلقاء نفسه بالكشف عن اسمك، ومن ثم وجهت المحكمة إليه اتهامًا صريحًا بإفشاء سر من أسرار الدولة.

مروان: وماذا عن النتيجة النهائية لكل هذا؟

برجمـان: النتيجة النهائية هي أن القاضي كشف صراحة عن اسمك أيضًا، ومـعي الآن مـحـضـر الجلسـة لكنني لا أسـتطيع أن أرسله لك، وأنا في غنى عن التورط مع السلطات الإسرائيلية حتى لا تتهمني بأشيـاء خارجة على القانون الإسرائيلي.

ويروي برجمان المؤرخ اليهودي والاستخباراتي السابق أنه كان قد أجرى عدة مكالمات من قبل مع مروان وقد حدث أن تحدث معه هاتفيًا في أكتوبر ٢٠٠٦ حيث قال برجمان:

«لقد حدثني مروان هاتفيًا هذه المرة دون أن أبعث إليه أي شيء كان وقتذاك في الولايات المتحدة الأمريكية يتلقى علاجًا طبيًا، وقد استغرقت المحادثة بيننا حوالي ساعة إلا ثلث بالتمام والكمال، وراح مروان يستخدم معي طريقته المعهودة وأسلوبه القـديم حيث اتصل ثم صمت وعندمـا سـمع صـوتي أغلق الخط، ثم سرعان ما عاود الاتصال بي مرة أخرى وراح يطلب مني اسم الكتاب الجديد (لـ أديه شيلو) الذي كان يشغل رئيس قسم الأبحاث في الاستخبارات العسكرية أثناء

حرب أكتوبر وكان يشغل منصب نائب رئيس المخابرات إيلي زعيرا).

ويكمل برجمان حديثه قائلاً:

«قال لي مروان : يمكنهم أن يقولوا ما يريدون غير أن الحقيقة سوف تكون كما هي فقد أرادت جولدا مائير الانتحار، وفقد الإسرائيليون مئات الدبابات في الأيام الأولى من الحرب فأنا لست سوبرمان.

يضيف برجمان:

«أخبرني مروان قائلا: إنني كنت أكتب جميع خطب الرئيس السادات التي كانت بمثابة أوامر لأربعين شخصًا مهمتهم تغذية إسرائيل بالخديعة!!

أي خديعة؟! هكذا تساءل برجمان وأجاب قائلاً:

«الخديعة التي يقصدها مروان هي خدعة الإحساس لدى الإسرائيليين بأن المصريين غير قادرين على خوض الحرب ضدهم عندئذ قال لي العبارة التي لن أنساها.. لم يكن عميلاً مزدوجًا بل كان مصريًا).

ألم يكن هذا دليلاً على اعترافه بأنه لم يكن بالفعل عميلاً مزدوجًا ألم تقتنع يا مستر برجمان؟

يجيب برجمان قائلاً على أسئلة أحد الصحفيين؟

- يمكن أن نفهم ذلك بأشكال مختلفة بما في ذلك العكس فعندما أفكر في مأساة وفاته أقول لنفسي : هل كان عميلاً مزدوجًا أم لا؟ وفي النهاية أقول إن هذا لا يهم.

إذن هل كان برجمان يتعمد خلال إجراء بعض الاتصالات مع أشرف مروان أن يعرف أين هو، ومتى سيذهب حتى يتمكن الموساد الإسرائيلي من تحديد مكانه والتخلص منه وفق خطة شديدة الإتقان؟

ظني أن برجمان الذي أخبره أشرف بأنه كان يمارس عبر خطب الرئيس السادات تغذية الإسرائيليين بالخديعة، وأنه لم يكن عميلاً مزدوجًا، أو أن مصر كلها تعلم بذلك قد دبر بصفته أحد ضباط الاستخبارات الإسرائيلية سابقًا مؤامرة لتصفية أشرف مروان، لا سيما وأن أشرف قد أخبره في محادثة أخرى أنه فرغ من كتابة مذكراته، ولأن برجمان كان على يقين من أن أشرف مروان كان يعمل لحساب المخابرات المصرية ضد إسرائيل فقد أشار تلميحًا بخوض هذا الأمر قائلاً:

«لقد أرسلت إلى أشرف مروان جميع كتبي وكتاباتي وأهديت له كتابي الأول بكلمة رقيقة كتبتها في الصفحة الأولى منه حيث خاطبته قائلاً:

«إلى أشرف مروان بطل مصر»، وقد أجرى اتصالا معي بعد أن فرغ من قراءة الكتاب قائلاً لي:

اسمع أريد أن أخبرك بثلاثة أشياء:

الأول: إنني لا أجادلك (كان مروان يقصد الادعاءات التي روجتها إسرائيل أنه كان عميلاً مزدوجًا).

والثاني: أن لك أعداء، وأنا لي أعداء، فلا تستمع لأعدائي.

ثالثًا: وهذا هو الأهم علينا أن نتقابل.

وللتأكيد على أن مروان لم يكن جاسوسًا لحساب إسرائيل فقد أكد برجمان أنه وبعد مرور ستة أشهر من تلك المكالمة أجرى مروان اتصالاً هاتفيًا معي قال لي في أعقاب ما نشرته الصحف الإسرائيلية حول دوره كعميل كان يعمل لحساب إسرائيل على حد زعمهم:

- لماذا يفعلون بي ذلك؟ لقد كان يقصد إسرائيل بوجه عام، والموساد على وجه الخصوص، وكان يظن أن الموساد هو الذي سرب اسمه لوسائل الإعلام، وروج

لفكرة العميل المزدوج، وكان يتساءل مرة بعد أخرى، وكان يقول بصوت متحشرج كأنه يبكي : هل يبحثون عن الانتقام؟!

إذن كان مروان ينتظر بالفعل وقوع هذا الانتقام حيث بات على يقين أن الموساد الذي بدأ في شن حرب نفسية ضده قرر التخلص منه ، وهو ما يؤكد على صدق ما روته السيدة منى جمال عبد الناصر من أن أشرف مروان أخبرها أن الموساد سوف يتخلص منه قريبًا، وقد ورد ذلك على لسان ابنه أحمد.

إذن أستطيع أن أقول إن برجمان كان هو المرشد الأمين لجهاز الموساد لتحديد ساعة الصفر التي تحدد فيها التخلص من أشرف مروان خاصة وأنه كان قد انتهى -وفق بعض المصادر الموثقة- أنه فرغ من كتابة مذكراته التي تحدث فيها عن حقيقة دوره في حرب أكتوبر بوصفه واحدًا من أمهر من استعانت بهم المخابرات المصرية لتضليل عباقرة الموساد وقادته الذين أصابهم الغرور صحيح هل كان أشرف مروان الذي انتهى من كتابة مذكراته بعنوان (الحقيقة في مصر) كما أكد ذلك ابنه أحمد؟

هل كان سيروي أنه كان عميلاً يعمل لحساب إسرائيل أم كان سيروي للرد على المزاعم الصهيونية كيف خدع وضلل جهاز الموساد الإسرائيلي..

من هنا أدرك الموساد خطورة هذه المذكرات على سمعته التي كثيرًا ما تلطخت على أيادي المخابرات المصرية، وأن الوقت قد حان للإجهاز على هذا الرجل والانتقام منه، وسرقة المذكرات التي كتبها أو بعض فصولها أو محاولة سرقتها لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من سمعة الموساد التي توحلت في العقود الأخيرة.

جنازة مهيبة

على أية حال مات أشرف مروان وستظل طريقة موته هي التي ستثير الحيرة وستدفع الجميع للبحث عن كيفيتها حتى تنتهي علامات الاستفهام التي صاحبت لحظاته الأخيرة.

عاد جثمان أشرف مروان على طائرة مصر للطيران في الرحلة رقم ٧٧٨ التي غادرت مطار هيثرو بالعاصمة البريطانية لندن في تمام الساعة الرابعة مساءً بعد أن فرغ الأطباء الإنجليز من مهمة فحص وتشريح الجثة لتحديد أسباب الوفاة.

كان المصريون الذين اعتصرهم الألم من الحادث المفاجئ قد أصروا على أداء الصلاة على جثمانه قبل مغادرته العاصمة البريطانية لندن وذلك عقب صلاة العصر في مسجد المنتدى الإسلامي الشهير بلندن.

كان على متن الطائرة زوجته التي أصيبت بانهيار وحالة أشبه بالهستيريا عقب سماعها النبأ الفجيعة حيث كانت في العاصمة اللبنانية لشراء فستان جديد لحضور حفل زفاف ابنة الوزير أحمد المغربي، وقد عادت ليلة الحادث على متن طائرة مصرية كان يقودها ابن خالتها الطيار.

وقد استقلت بعدها طائرة متجهة على الفور إلى لندن برفقة ولديها جمال وأحمد لإحضار جثمان الفقيد.

المهم عاد الجميع بعد الانتهاء من إجراءات شحن الجثمان وقد خيم الصمت على الطائرة التي تحمل في جوفها جثمان بطل أفنى حياته من أجل هذا الوطن

وهو ما سوف تكشف عنه الأيام في السنوات القادمة.

وفي تمام الساعة الحادية عشرة إلا ربع هبطت الطائرة على مدرجات مطار القاهرة حيث كان في انتظار الجثمان الدكتور زكريا عزمي رئيس ديوان رئيس الجمهورية، والفريق أحمد شفيق وزير الطيران في إشارة واضحة لهؤلاء الذين ساورتهم الظنون في حقيقة دور أشرف مروان لكي يتأكد لهم بما لا يدع مجالاً للشك في وطنية الرجل ونزاهته وحبه وإخلاصه وعطائه ووفائه لهذا الوطن..

كان أقارب أشرف مروان وأصدقاؤه ومحبيه في انتظار قدوم جثمانه الذي حملته على الفور عربة إسعاف تابعة لرئاسة الجمهورية في إشارة أخرى لمن يريد أن يفهم لنقله إلى مستشفى القاهرة التخصصي على اعتبار أنه أقرب مكان لمسجد عمر بن عبد العزيز الذي ستقام الصلاة على الجثمان بداخله وبدأت رحلة إلى مثواه الأخير منه.

وفي تمام الساعة الثانية عشرة والنصف من ظهر الأحد الموافق الأول من يوليو تم نقل الجثمان من ثلاجة مستشفى القاهرة التخصصي وتم وضعه في إحدى العربات الخاصة التي حملته إلى مسجد عمر بن عبد العزيز ، وقد أقيمت صلاة الجنازة على الراحل عقب انتهاء صلاة الظهر، وقد حضر الجنازة لفيف كبير من كبار رجال الدولة في طليعتهم جمال مبارك نجل الرئيس مبارك في إشارة واضحة أيضًا للذين روجوا وأشاعوا فتنة ضلوع أشرف مروان في التآمر ضد مصر ، كما حضر العميد سعيد زادة مندوب رئاسة الجمهورية نيابة عن الرئيس مبارك لمواساة أسرة الفقيد.

حضر الجنازة أيضًا في رسالة جلية الدكتور أحمد فتحي سرور رئيس مجلس الشعب، والسيد صفوت الشريف رئيس مجلس الشورى ووزيرا الإعلام والصحة فضلاً عن الدكتور محمد محي الدين وزير الاستثمار قد حضر عزاء الجالية المصرية في لندن.

بعد انتهاء مراسم تشييع الجنازة اصطفت أسرة الفقيد جمال وأحمد وشقيقه هاني، وخالد عبد الناصر وعبد الحميد وعبد الحكيم وحاتم صادق لتلقي واجب العزاء..

بعد ذلك، انطلق الجثمان إلى المقابر ملفوفًا في علم مصر، وسط نحيب وبكاء أفراد أسرته حتى توقف أمام المدافن الملاصقة لكلية البنات بمصر الجديدة، وقد علا صراخ زوجته التي ارتمت في أحضان جمال مبارك في مشهد مؤثر وحزين أبكى الجميع حيث راحت تصرخ بأعلى صوتها وتقول: «سايبنا لوحدنا ورايح فين يا أشرف.. احنا جايين وراك».

وعقب دفن الجثمان وقف نجله جمال مروان يعلن بصوت مسموع «إن العزاء في مسجد آل رشدان».

وفي مساء تلك الليلة التي شهدت عزاء أشرف مروان حضر مندوب رئاسة الجمهورية وجميع أعضاء الحكومة المصرية فضلاً عن حضور اللواء عمر سليمان مدير المخابرات العامة المصرية الذي كان مرافقًا للرئيس حسني مبارك في إحدى الدول الأفريقية،وقد توجه من المطار مباشرة إلى مسجد آل رشدان في رسالة نهائية ومباشرة بوصفه مدير المخابرات العامة، وهو قلما أن يحضر واجب العزاء نظرًا لخطورة منصبه وحساسيته الشديدة، بيد أن إيفاد عمر سليمان إلى الرجل الذي اتهم بالتجسس لحساب إسرائيل كان يتطلب تبرئة ساحته بأسرع ما يكون حتى لا تتقاذفه أمواج الشائعات فتغرق الحقيقة في بئر عميق.

لكن يبقى السؤال:

ما هي حقيقة العلاقة بين أشرف مروان والموساد الإسرائيلي، ومتى بدأت وكيف انتهت؟!

الفصل الأخير

كيف قهر الموساد

في أعقاب مصرع الدكتور أشرف مروان على يد جهاز الموساد الإسرائيلي أشاعت الصحف العبرية الصادرة في تل أبيب أن المخابرات المصرية هي التي دبرت ونفذت مؤامرة اغتياله انتقامًا منه بعد أن تبين حقيقة دوره كجاسوس يعمل لصالح إسرائيل قبل وأثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣!!!

والحاصل أن الموساد الذي تلقى العديد من الصفعات واللطمات والطعنات والضربات على يد المخابرات العامة المصرية إنما أراد أن يغتسل مما حاق به من عار وذلك ثأرًا لنفسه في محاولة تجميلية وتزويقية لعلها ترد له مكانته وهيبته ربما يحظى بثقة خونة الأوطان بعد أن تبعثر وتناثر كالجثث الممزقة.

لكن الواقع المرير الذي أدارت له إسرائيل ظهرها وتعامت عنه وأغلقت أذنيها حتى لا تسمعه هو أن أشرف مروان وطني مخلص لم يكن جاسوسًا يعمل لصالحها بل كان يناضل من أجل نصرة وطنه.

إذن ما الذي دفع إسرائيل إلى ممارسة مثل هذا الدجل وتلك الشعوذة؟!

بدأت الحكاية منذ عام ٢٠٠٢ عقب صدور كتاب (تاريخ إسرائيل) للمؤرخ والضابط السابق في الموساد الإسرائيلي (أهارون برجمان) الذي تعرض لمسألة أشرف مروان وعلاقته مع إسرائيل، ثم سرعان مع شهدت الولايات المتحدة الأمريكية كتابًا آخر صدر بعنوان «عشية التدمير» للصحفي الأمريكي «هوارد بلوم» المحرر بجريدة نيويورك تايمز، وقد تطرق هو الآخر في كتابه حول الدور الذي لعبه مروان قبل وأثناء حرب أكتوبر ومدى نجاحه الرائع في آداء مهامه على نحو غير مسبوق.

الشاهد أن المؤلفين تعرضا تفصيلا لقصة مروان منذ بدايتها وإن اختلفت بينهما قليلاً بعض الشيء بيد أنهما قد اتفقا على أن مروان كان مخادعًا استراتيجيًا على أعلى طراز، وربما كان هو أخطر جاسوس على مستوى العالم على حد ما ورد في كتابيهما.

في أحد فصول كتابه (تاريخ إسرائيل) كتب المؤرخ الإسرائيلي برجمان يقول:

«إنه بعد مرور عامين على حرب يونيو ١٩٦٧ طرق شاب مصري في منتصف العشرينيات من العمر باب السفارة الإسرائيلية في لندن وطلب العمل لحساب الموساد.. ولأن الطريقة التي تطوع بها الشاب كانت مباشرة وغريبة فلم يستجب له ممثل الموساد في السفارة لكنه أصر وترك بياناته على وعد بالعودة مرة أخرى.

وأضاف برجمان في كتابه المثير :

«إن مسؤولو الموساد أصيبوا بصدمة شديدة لدى تحققهم من شخصية هذا الشاب... واكتشاف أنه مسؤول مهم تربطه صلة قرابة بالرئيس المصري آنذاك جمال عبد الناصر

«إن الإسرائيليين جندوه على الفور، واعتبر فيما بعد أنه أهم جاسوس على

الإطلاق وكان يتقاضى في كل مقابلة له مع ضباط الموساد مائة ألف جنيه إسترليني وللحفاظ على سرية شخصية هذا الجاسوس كان الإسرائيليون يشيرون إليه باسم (الدكتور) أو (زوج الابنة).

ويؤكد برجمان أن أشرف مروان انتهج استراتيجية بعيدة المدى بتقديم معلومات صحيحة وقيمة للموساد لكسب ثقة الإسرائيليين انتظارًا لموعد تقديم ضربته، وقد ساور القلق مسؤولي الموساد من فقدان زوج الابنة نفوذه الرسمي عقب وفاة جمال عبد الناصر في شهر سبتمبر ١٩٧٠ لكن الرئيس السادات أسند له العديد من المناصب المهمة منها شغله منصب وزير بلا حقيبة، وسكرتير إعلامي للرئاسة ثم سرعان ما أضحى أقرب معاوني الرئيس.

ويضيف برجمان في كتابه قائلاً:

«إن أشرف مروان نقل لإسرائيل نص حوار دار في موسكو في يناير ١٩٧٠ بين جمال عبد الناصر والقيادة السوفيتية كرر فيه الرئيس المصري السادات طلب شراء مقاتلات متطورة قادرة على الوصول إلى قلب إسرائيل وصواريخ سكود.

ثم قام أشرف مروان بنقل رسالة سرية بعث بها السادات إلى ليونيد بريجنيف رئيس الاتحاد السوفيتي يطلب فيها شراء صواريخ سكود.

ويشير برجمان إلى أن أشرف مروان نجح في إقناع إسرائيل بأن مصر لن تشن حربًا عليها إلا إذا حصلت على طائرات حربية مقاتلة قادرة على الوصول إلى إسرائيل وصواريخ سكود.. وهو ما ثبت عدم صحته الأمر الذي دعم عنصر المفاجأة في حرب أكتوبر.

ويشير الكتاب إلى أن (زوج الابنة) استمر في حملة منظمة ومحسوبة لإمداد إسرائيل بمعلومات مضللة.. على سبيل المثال حذرهم في عام ١٩٧٣ من حرب وشيكة لم تقع.. وفي ربيع ١٩٧٣ قال للموساد:

«إن السادات سوف يشن حربًا يوم ١٥ مايو، وعلى الرغم من تناقض التحذيرات مع ما سبق أن قاله من أن مصر لن تحارب إلا إذا حصلت على مقاتلات متطورة وصواريخ سكود كان الجيش الإسرائيلي قد أجرى تعبئة عامة كلفت الخزانة الإسرائيلية نحو ٤٥ مليون دولار ثم سحبت الحشود العسكرية من خطوط المواجهة يوم ١٢ أغسطس ١٩٧٣ أي قبل سبعة أسابيع من قيام الحرب.

وأضاف المؤرخ الإسرائيلي أهارون برجمان في كتابه القنبلة (تاريخ إسرائيل):

«إن من أبرز عوامل نجاح زوج الابنة «مروان» في إقناع الموساد بولائه .. هي قصة بدأت في فبراير ١٩٧٣ ضلت طائرة ركاب ليبية طريقها بسبب عاصفة وكانت قد اقتربت من المجال الجوي الإسرائيلي فخشي الإسرائيليون أن تكون الطائرة متوجهة لضرب مفاعل ديمونة فأسقطوها وقتل كل من فيها وعددهم ١٠٨ بينهم وزير الخارجية الليبي الأسبق صالح بوياسر وقد ثار الزعيم الليبي معمر القذافي، وحمل برج المراقبة المصري المسؤولية عن انحراف الطائرة، وطالب السادات بالرد على إسرائيل مصرًا على الانتقام بإسقاط طائرة إسرائيلية لكن الرئيس السادات خشي من نشوب حرب شاملة مبكرة تفسد خططه الحربية فتظاهر بالتجاوب مع الزعيم الليبي وعهد إلى الدكتور أشرف مروان بإعداد خطة لشن هجوم انتقامي .. واقترح (زوج الابنة) أن يقوم فريق مكون من خمسة فلسطينيين بضرب طائرة إسرائيلية أثناء إقلاعها من مطار روما بصاروخ محمول على الكتف.. لكن زوج الابنة أبلغ الإسرائيليين بالخطة، واعتقل الفلسطينيون الخمسة في إيطاليا قبل تنفيذ العملية بعد أن نقل الموساد لأجهزة الأمن الإيطالية المعلومات التي تلقاها من عميله».

ويؤكد برجمان أن مصر نجحت في تحقيق ثلاثة أهداف :

فقد تفادت إشعال حرب مبكرة.

وحافظت على علاقتها بالزعيم الليبي معمر القذافي.

وكسبت ثقة الموساد في زوج الابنة.

أما الكتاب الثاني الذي أصدره الصحفي اللامع «هوارد بلوم» تحت عنوان «عشية التدمير» فقد ساق العديد من المواقف والصور التي تتعلق بشأن العلاقة الوثيقة التي ربطت أشرف مروان بالموساد الإسرائيلي وكان الكتاب قد تزامن صدوره مع كتاب برجمان «تاريخ إسرائيل» الأمر الذي أثار عاصفة من الدهشة في ذلك الوقت حول الهدف من وراء نشر مثل هذه الأسرار الخطيرة والمثيرة، وهل تم ذلك بإيعاز من الموساد الإسرائيلي أم أن المسألة وليدة مصادفة غير مقصودة؟

نعود إلى كتاب (هوارد بلوم) لنتأمل ما أورده حول دور أشرف مروان حيث يقول بالنص:

«إن إسرائيل قد فوجئت بتطوع أشرف مروان لمساعدتها ويتطرق بلوم إلى بداية العلاقة التي ربطت مروان بالموساد الإسرائيلي وهي تختلف اختلافًا جذريًا عما أورده المؤرخ الإسرائيلي أهارون برجمان.

بدأ بلوم شرحه قائلاً:

«إن أشرف مروان أصيب فيما يبدو بآلام المعدة، وسافر إلى لندن لتلقي العلاج لدى طبيب محدد، وفور دخوله غرفة الكشف قال مروان للطبيب إنه أجرى فحوصات طبية في القاهرة ومعه التقارير، وسلمه مظروفًا ولم يكن يحوي تقاريًا طبية، وما إن شاهده الطبيب حتى قال له يبدو أنك أخطأت.. لكن مروان قال له:

لا لم أخطئ كما تظن يا سيدي ، غير أن الطبيب قال له : إذن ما الأمر أيها الشاب؟!

فأجاب مروان قائلاً:

أريد منك أن تسلم هذه المستندات لحكومة إسرائيل، وقال الطبيب مؤكدًا إنه لا يعرف أي شخص في السفارة الإسرائيلية بلندن، وطلب من مروان سرعة مغادرة العيادة، ولكن المريض أشرف مروان أشار إلى لقاء مسؤول عربي سابق مع باكوف حيث تزوج مدير مكتب رئيسة الوزراء في عيادة الطبيب وكان هذا المسؤول العربي[1] من المترددين على هذا الطبيب الذي دبر أول لقاء للمسؤول العربي الحريص على إنكار أية اتصالات له مع إسرائيلي إلا أن مصر كانت تعلم بسر عيادة الطبيب.

ويضيف هوارد بلوم صاحب كتاب (عشية الدمار) أن مروان وجه حديثه للطبيب في هدوء قائلاً له:

عليك أن تتصرف بصورة طبيعية حتى لا يشك أحد في الأمر.. إلى جانب أنني أشعر بتعب فعلاً في المعدة.

ويستطرد هوارد بلوم قائلاً:

«بعد ثلاثة أيام .. وكان مروان قد دخل محلات هاردوز الشهيرة في لندن.. اصطدم به أحد رواد المتجر وفي معرض اعتذاره السريع له أوضح أنه يعرفه بالاسم، وطلب منه المغادرة إلى المترو بسرعة، ومنه إلى المتحف البريطاني حيث غرفة الاطلاع الرئيسية.. واختفى هذا الشخص فورًا، ولم يذهب مروان إلى المتحف.. فقد أمسك رجل آخر بذراعه وهو يقترب من محطة المترو ودون أية كلمة أو تحية دفع به إلى داخل سيارة كانت تنتظره.. لقد تحرت المخابرات الإسرائيلية عنه وتأكدت أنه يحمل لقب سفير متجول، ويعمل كحلقة وصل بين الرئيس والمخابرات المصرية برغم أن عمره لا يتعدى الثلاثين عامًا فإنه يجلس

(١) الملك حسين عاهل المملكة الأردنية الهاشمية الراحل.

بصحبة كبار المسؤولين عن تخطيط مستقبل مصر..

ويؤكد بلوم في كتابه (عشية التدمير):

«إن إسرائيل اعتبرت تعاون أشرف مروان «هدية السماء» وأنها كانت تدفع له بسخاء حتى إن إجمالي ما تسلمه مروان بلغ عشرين مليون دولار اعتبرتها استثمارًا مميزًا.

هكذا كانت المعلومات التي يقدمها مروان تشير إلى أن مصر غير قادرة على خوض أية حروب.. وتسببت المعلومات التي قدمها للموساد وراء قيام إسرائيل بإعلان التعبئة واستدعاء عشرات الآلاف من قوات الاحتياط في ٧ مايو ١٩٧٣ في عملية أطلق عليها اسم «أبيض وأزرق» للتعامل مع أي هجوم مفاجئ..

وتكلفت هذه العملية حوالي ٣٥ مليون دولار وهو ما يعادل ٤٠٪ من الميزانية العسكرية، وأكد الكاتب أن مروان التقى مرات عديدة: وكانت خلاصة تلك اللقاءات أنه لا يوجد أي تحرك جديد وأن عملية الهجوم العسكري غير واردة على الإطلاق ومنها لقاء تم في لندن في أغسطس ١٩٧٣ .

وفي موضع آخر من الكتاب يقول هوارد بلوم:

«إن مروان طلب لقاء رئيس الموساد يوم ٥ أكتوبر في لندن أي قبل المعركة بيوم واحد، وفي ذلك اليوم حضر مروان على غير عادته قرب منتصف الليل، وقال مروان إن الهجوم سوف يتم غدًا في المساء، وأن المعركة ستدور على جبهتين..

من ناحيته بادر رئيس جهاز الموساد بسرعة الاتصال بالقيادات في إسرائيل حيث قامت الساعة الرابعة والنصف صباحًا يوم عيد الغفران، وحدثت ضجة وحاولوا الاستعداد بقدر الإمكان خلال ساعات قليلة إلا أنهم كانوا يستعدون لهجوم عند الغروب والعبور تم في الساعة الثانية ظهرًا.

إذن اتفقا المؤلفان على أن أشرف مروان مارس أكبر عملية خداع استراتيجي

ضد إسرائيل على عكس ما روجته الصحافة العبرية في تل أبيب وأذيالها في القاهرة تلك التي تصدر من خلال مؤسسات يديرها بعض الأشخاص ويتولى رئاسة تحريرها مَن ينهلون من المصادر الصحفية العبرية التي تحظى باحترامهم وثقتهم وعرفانهم لكن يبدو أن كلا المؤلفين قد اخترعا قصصًا لبداية تعرف أشرف مروان مع الموساد حيث إن الروايتين لا تتوافقان مع العقل ولا تنسجمان مع أبسط قواعد المنطق.

من جانبه روى برجمان أن أشرف توجه إلى السفارة الإسرائيلية في لندن عام ١٩٦٩ وطرق بابها وقدم نفسه وهو قول مغلوط لا يمكن قبوله أو الأخذ به حيث إن رجلاً في مكانة مروان يعمل داخل مؤسسة رئاسة الجمهورية فضلاً عن كونه زوج ابنة الرئيس يتعذر على من كان في مكانته أن يبادر بتلك الخطوة حتى ولو كان ذلك بالاتفاق مع المخابرات المصرية .. لماذا ؟!

لأن المخابرات الإسرائيلية لا يمكن لها قبول جاسوس جاء يقدم نفسه هكذا بصورة مباشرة ولا سيما وأن الحرب بين المخابرات المصرية والإسرائيلية بعد عام ١٩٦٧ كان تجري على قدم وساق دون هوادة، وطبيعي أن تخضع كلا السفارتين المصرية والإسرائيلية للمراقبة المستمرة والدائمة.

أضف إلى ذلك أن أولى قواعد العمل الاستخباراتي هو اصطياد العميل، وهو ما لا ينسجم مع حكاية مروان الذي بادر حسب المزاعم الإسرائيلية وتوجه بنفسه إلى السفارة الإسرائيلية طالبًا العمل لحساب إسرائيل.

أما الحكاية الأخرى التي أوردها الصحفي الأمريكي (هوارد بلوم) في ذهاب أشرف مروان إلى أحد الأطباء الذين يتعاونون مع الموساد يؤكد أيضًا سذاجة الطرح حيث ينبغي أن يتساءل ضباط الموساد من أين عرف أشرف مروان بحقيقة الصلة التي تربط هذا الطبيب مع الموساد وأنه هو الذي قام بتوثيق العلاقة بين المسؤول العربي والموساد سرًا من خلال عيادته حيث إن أمر هذا المسؤول لم يكن

شائعًا إلا لدائرة قليلة للغاية ومن ثم يتعذر على أشرف مروان الوصول إلى هذا الطبيب، وقبول الموساد هذا التصرف الغريب الذي يصعب القيام به.

أغلب الظن أن هناك وسيلة أخرى أكثر واقعية تحتفظ بها أجهزة المخابرات في مصر وإسرائيل، وربما أرادت إسرائيل بث هاتين الروايتين في محاولة استفزازية للمخابرات المصرية لعلها تخرج عن صمتها إزاء علاقة أشرف مروان بها حتى تقف على حقيقة دوره، وموقف المخابرات العامة منه بيد أن المخابرات المصرية التزمت الصمت نحو تلك الحكاية حتى تظل أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية غارقة في حيرتها واتهاماتها لبعضها البعض.

في نفس العام الذي صدر فيه الكتابان راحت الصحف الإسرائيلية تهلل بضربة الموساد للمخابرات المصرية التي منيت بهزيمة ساحقة حيث استطاع الموساد الوصول إلى غرفة نوم الرئيس جمال عبد الناصر الذي تزوجت ابنته من أحد الجواسيس، وأنها جلست على مكتب الرئيس السادات من خلال نفس الكبير الذي حظي على ألقاب عديدة داخل جهاز الموساد حيث اشتهر بين ضباطه بالعميل «بابل»، وهو الاسم الذي يعتز به اليهود تيمنًا بمدينة بابل العراقية التي بنتها الأرواح المؤمنة بعد أن تهدمت على يد البشر الشريرين وفق الأساطير اليهودية، كما أطلقوا عليه لقب «العريس، والصهر وزوج الابنة» لزواجه من ابنة الرئيس جمال عبد الناصر.

المهم أن الصحف الإسرائيلية وعلى رأسها يديعوت أحرنوت تحدثت بإسهاب عن بطولات ضباط الموساد الذين نجحوا في زرع جاسوسهم في أهم بيوت العالم العربي حتى إن كاتبًا مصريًا في حجم عادل حمودة رئيس تحرير جريدة الفجر القاهرية راح يكتب عن تورط مروان في التجسس لصالح العدو الإسرائيلي معتمدًا في مزاعمه على الدجل والأكاذيب الإسرائيلية.

لم تقف ادعاءات حمودة عند هذا الحد، بل راح ينفث سمومه عبر برنامج

يقدمه الإعلامي حمدي قنديل بعنوان قلم رصاص الذي تبثه قناة دبي الفضائية، وقد قال حمودة :

«أقبل بفكرة أن مروان تورط مع إسرائيل وأنه لعب دورًا محدودًا جدًا في خطة الخداع لحرب أكتوبر».

وأضاف عادل حمودة قائلاً:

«ربما تكون هناك أشياء مشتركة بين الليثي ناصف، وأشرف مروان فكلاهما عمل مع الدولة ومطلع على أسرار عديدة وكذلك سعاد حسني التي عملت في فترة الستينيات مع المخابرات والفريق الليثي ناصف كان مسؤولاً عن القبض على مراكز القوى، وكان أشرف مروان مقربًا من الرئيس السادات، ولعب دورًا أيضًا في قضية مراكز القوى فهو الذي حمل استقالاتهم إلى الرئيس بالإضافة إلى ما أثير حول تورطه في التجسس لصالح إسرائيل.

وأكد حمودة في برنامج (قلم رصاص) ضرورة التوقف أمام ما تردد حول قيام أشرف مروان بإبلاغ إسرائيل بموعد الحرب سواء كان ذلك في موعد متأخر أو حتى غير حقيقي مشيرًا إلى أنه من غير الطبيعي قبول ذلك عند التعامل مع دولة مثل إسرائيل.

وأضاف عادل حمودة أن ما نشر عن أشرف مروان في هذه القضية مجرد دعاية صحفية رغم خطورته الشديدة حيث إن إيلي زعيرا رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية السابق اتهم مدير الموساد زيفي زامير أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ بالتقصير والإضرار بأمن إسرائيل بالوقوع في شراك أشرف مروان ودار سجال وخلاف بين الطرفين طوال السنوات الماضية حسمته المحكمة العليا الإسرائيلية منذ عشرة أيام فقط وأكدت أن مروان كان جاسوسًا لإسرائيل وليس عميلاً مزدوجًا.

واستطرد حمودة ..

عندما نشرت القضية أول مرة اتصلت هاتفيًا بمروان للاستفسار فرد بأسلوب فظ، وطلب مني بطريقة غير لائقة أن أقرأ الكتاب الذي تناول قصته مؤكدًا أنه قصة بوليسية خرافية!

وأشار حمودة إلى أن أشرف مروان يقاضي (تراب وشه) في أمور تافهة فلماذا لا يرفع قضية في مسألة تمس سمعته ووطنيته..

وردًا على سؤال وجهه الإعلامي حمدي قنديل لضيفه عادل حمودة أجاب الأخير

«إن معلوماتي تؤكد أن حقيقة ما جرى ولكن من الضروري توضيح ذلك خصوصًا أنه من المعروف أن أشرف مروان له خصومات عديدة، ثم إن الدولة لو كانت تريد فعل شيء لفعلته من البداية».

واضح أن حديث الأستاذ عادل حمودة يمتزج بالأسى والمرارة من الراحل أشرف مروان، وبدا لمن يسمعه أنه مغلق بالكراهية له، وخاصة بعد أن تعرض حمودة لواقعة اتصاله بمروان الذي رد عليه بطريقة غير لائقة وبأسلوب فظ على حد قول حمودة، وهو ما يبرهن على أن حمودة قد حمل في نفسه طريقة أشرف مروان، ومن ثم راح يشن عليه هجومًا عنيفًا وحادًا متوكأ على عصا هآرتس الإسرائيلية ومرتديًا نظارة يديعوت أحرنوت متحدثًا بلسان الموساد الإسرائيلي..

من حق عادل حمودة أن يغضب لنفسه من الأسلوب الذي تناوله مروان معه عبر الهاتف، لكن لا يجوز له -بحال من الأحوال- أن يتبنى وجهة نظر الصحافة الإسرائيلية في قضية خطيرة قد تعصف بثوابت وأعمدة ارتكز عليها هذا الوطن

ردحًا من الزمان.

والغريب أن برجمان ويلوم كلاهما أكد بما لا يدع مجالاً للشك أن مروان لم يكن جاسوسًا لحساب إسرائيل ، بل كان وطنيًا مخلصًا الأمر الذي دعا برجمان ليهدي كتابه إلى أشرف مروان بعد أن كتب عليه في خانة الإهداء ..

«إلى بطل مصر .. أشرف مروان» فكيف يأتي عادل حمودة ليطلق عليه بطل إسرائيل؟!!!!

مصيبة أصحاب الأقلام في مصر أنهم -دائمًا- يخلطون بين ما هو خاص، وما هو عام، وكأن كرامتهم تسبق كرامة الوطن، وعزتهم تعلو على عزة الأمة وشموخهم يتعاظم أمام شموخ البلد الريق ، كأنهم أعز وأغلى من مصر أو هكذا ظنوا سوءًا بأنفسهم.

اللافت للانتباه أن صحيفة الفجر القاهرية[١] قامت بحملة واسعة النطاق ضد الرجل حيث ورد في إحدى صفحاتها هذه الفقرة:

«..كان اللواء زعيرا رئيس المخابرات الحربية (أمان) في حرب أكتوبر قد أقام دعوى ضد تسفي زامير رئيس الموساد في تلك الفترة أمام المحكمة العليا طالبه فيها بمليون شيكل لأنه صرح خلال حواره مع دان مرجليت في صحيفة معاريف بأن إيلي زعير خدع عن عمد الجيش والحكومة وأنه كشف أيضًا عن العميل المصري أشرف مروان ورفض القاضي يتودور أورو الدعوى منذ عشرة شهور لكن لم يسمح بنشر الخبر إلا أخيرًا حسب التقرير العبري الذي ترجمه عن الصحافة الإسرائيلية (الحسين محمد)[٢] وبهذا القرار يكون أشرف مروان قد أصبح

---

(١)عدد ٢ / ٧ / ٢٠٠٧ .

(٢) مترجم عبري بجريدة الفجر.

جاسوسًا رسميًا لإسرائيل بحكم المحكمة العليا.. فهل كان عليهم التخلص منه؟!

هكذا أصبح القضاء الإسرائيلي لدى البعض في بلادنا واحة للأمان، وحصنًا للعدالة، ورمزًا للحق رغم ما عرف عن إسرائيل من ممارسات عنيفة نحو أبناء الشعب الفلسطيني واشتهر عن قضائها ظلمه وقسوته حيال رموز الشعب الفلسطيني المجاهد والمناضل ضد الاحتلال الغاشم.

الموقف الرسمي للدولة

الغريب أن البعض راح يتساءل في دهشة وأن موقف الدولة من أشرف مروان في تأكيد واضح على غضبها عليه لضلوعه وتورطه في عمليات تجسس قام بها لصالح إسرائيل!!

لقد غفل هؤلاء عن أن الرئيس مبارك تولى بنفسه عملية الرد على خزعبلات الصحافة الإسرائيلية التي روجت لتلك الأكذوبة.

ففي عام ٢٠٠٤ وأثناء الضجة التي افتعلتها الصحف الإسرائيلية حول دور الجاسوس أشرف مروان الذي كان يعمل بكل قوة وحماس لصالح الموساد ضد بلاده تعمد الرئيس مبارك أن يلتقي الدكتور أشرف مروان في صباح الخامس من أكتوبر عام ٢٠٠٤ أمام قبر الزعيم الراحل جمال عبد الناصر بمناسبة الاحتفال بنصر أكتوبر العظيم على إسرائيل!!

كان الموقف يحمل العديد من المعاني والرموز حتى إن الضابط الاستخباراتي الذي كان مكلفًا بمتابعة التلفزيون المصري لحظة بلحظة قد صرخ في مكانه حين شاهد الرئيس مبارك وهو يتحتضن أشرف مروان بدفء وحميمية وود بالغ أصابه بالذهول وكأن حسني مبارك قد بعث ببرقية قصيرة اعتادت عليها المخابرات العامة المصرية في رسائلها إلى قادة الموساد وهي العبارة الشهيرة : «نشكركم على حسن تعاونكم معنا».

لقد أراد مبارك من خلال هذا اللقاء العابر والقصير تبرئة ساحة أشرف مروان والتأكيد على وطنيته ونزاهته حيث أدركت إسرائيل في التو أن حسني

مبارك المعروف بتعصبه الشديد لوطنه لا يقبل أن يلتقي مع جاسوس كان يعمل لصالح العدو ويصافحه ويحتضنه ويتجاذب معه أطراف حديث عابر..

كانت مصر الرسمية تريد أن تبلغ جميع الأطراف أن الرجل معجون بتراب هذا الوطن، وبماء نيله الخالد ومسكون بحب هذه الأمة ومشحون بعواطف جياشة نحوه بيد أن هؤلاء الذين شنوا عليه هجومًا واسع النطاق قد تعاموا عن ذلك عن قصد وسوء نية.

وللتأكيد على براءة مروان من تلك التهمة الشنيعة فقد تسلم دعوة رسمية من الرئيس مبارك يدعوه فيها لحضور خطبة نجله جمال مبارك على الآنسة خديجة الجمال وهي بالمناسبة على صلة قرابة بالبطل المصري رأفت الهجان (أو رفعت الجمال).

وقد أثار موقف مبارك الفزع في تل أبيب وأعادهم إلى المربع الأول في معارك حامية الوطيس حيث أدرك القادة في إسرائيل أن الموقف العلني لحسني مبارك يبرهن على أن أشرف مروان كان يعمل لحساب مصر وأن إسرائيل قد تلقت أكبر طعنة في تاريخها على يد المخابرات المصرية..

ناهيك عن زواج الآنسة هانيا ابن الوزير الكفء عمرو موسى والمعروف بعدائه الشديد لإسرائيل من ابن البطل أشرف مروان ولو كان مروان على عكس ذلك ما وافق عمرو موسى على اقتران ابنته بابن رجل باع هذا الوطن وخانه في شوارع عاصمة الضباب.

دعك من الجنازة الرسمية التي انتظرها قادة إسرائيل كتأكيد أخير على شخصية أشرف مروان حيث وردت المعلومات أن قادرة إسرائيل وقفوا جميعًا على أطراف أصابعهم وقد حبست أنفاسهم في انتظار مشهد الوداع الأخير لمروان ،والموقف الرسمي للدولة منه حتى يتبين لهم وجه الحقيقة بالضبط.

وجاء الموقف الرسمي مثيرًا ومفاجئًا لكل من ساورتهم الظنون بأشرف مروان حيث أوفد الرئيس مبارك نجله جمال للمشاركة في تشييع الجثمان ظهرًا وتقديم واجب العزاء ليلاً بصحبة كبار رجال الدولة والشورى والعديد من الوزراء وقد قام شيخ الأزهر بالصلاة على جثمان فقيد الوطن.

أضف إلى ذلك أن الرئيس مبارك كان قد أصدر أوامره للوزير محمود محي الدين وزير الاستثمار الذي كان في رحلة عمل بالعاصمة البريطانية لندن للتوجه إلى أسرته مروان لمواساتهم ومتابعة إجراءات عودة الجثمان.

كان جثمان أشرف مروان قد عاد إلى أرض الوطن على متن طائرة مصر للطيران، وقد حملته بعد وصوله مصر سيارة إسعاف تتبع رئاسة الجمهورية، وقد شيع ملفوفًا بعلم مصر كدلالة جلية على أن أشرف مروان كان مصريًا خالصًا وطنيًا نزيهًا صادقًا.

شهادات خطيرة

في أعقاب وفاة أشرف مروان راح الصحفي الأمريكي (هوارد بلوم) يكتب مقالاً مطولاً نشرته صحيفة (النيويورك تايمز) الأمريكية تحت عنوان «من قتل أشرف مروان؟!»، وقد قال بالحرف:

«إن الظروف الغامضة التي أحاطت بموت أشرف مروان قبل أسبوعين أثارت العديد من الشبهات مشيرًا إلى أن وفاة الرجل الذي عثر عليه في الشارع بعد سقوطه من شرفة شقته في الطابق الرابع بحي (سانت جيمس) في لندن لا تقل تعقيداً عن حياته الحافلة بالأسرار كأخطر جاسوس في تاريخ الشرق الأوسط.

وأضاف:

«إن وفاة مروان بهذه الطريقة أثارت جدلاً واسعًا حول احتمالات تورط أجهزة الاستخبارات في قتله كما زادت من حدة النقاش الدائر بشأن عمله كجاسوس للموساد أو لعبه بمهارة دور العميل المزدوج لصالح مصر».

وفي موضع آخر يقول بلوم:

«لا تزال حرب أكتوبر أكبر كارثة استخباراتية في تاريخ إسرائيل، وبعد عقود من وقوعها يتبادل الموساد وجهاز المخابرات العسكرية اللوم حول المتسبب في خسارتها فالجنرال إيلي زعيرا الذي فقد منصبه كرئيس للاستخبارات العسكرية بالإضافة إلى سمعته كرجل قضى سنوات يبحث ويحلل ا لمعلومات والأحداث التي قادت إلى الحرب.

وقال بلوم:

«أجرى الموساد تحقيقاته الخاصة، وانتهى إلى أن الصهر لم يكن عميلاً مزدوجًا ورغم هذا لم يقتنع زعيرا وتحدث إلى الصحفيين حول نظريته، وقال: كنت واحدًا منهم ولم يخبرني إطلاقًا باسم الجاسوس ولكنه قادني إلى الطريق الذي جعل من السهل تحديده بعد أقل من نصف الساعة على الإنترنت واستخدمت اسم أشرف مروان.

يؤكد أن إيلي زعير لم يكشف عن هوية أشرف مروان في كتابه على الإطلاق بوصفه عميلاً سريًا ينبغي الحفاظ عليه حتى لا يتعرض للمساءلة القانونية.

وأضاف بلوم:

«الآن فقط أتذكر تفاصيل محادثتي التليفونية الأخيرة معه، وقد سألته : هل أنت خائف؟ فرد: ولماذا أخاف لقد كنت جنديًا..

واختتم الكاتب الصحفي الأمريكي مقاله قائلاً:

«لقد تعهد مروان لي بالشكف عن معلومات أكثر حول الدولة التي كان يعمل لصالحها حينما نظهر سويًا في برنامج تلفزيوني بالولايات المتحدة لكنه عاد قبل يومين من التسجيل وقال:

«إنه لن يكشف عن أي أسرار قبل الانتها من كتابه عن الحرب».

وتابع بلوم:

«لم أسمع عن مروان بعد ذلك، ولم أحدثه، وأعتقد أن سكوتلاند يارد وأجهزة أخرى تحاول الآن العثور على الأوراق والمسودات التي كان يكتبها قبل وفاته!!!

لقد نجح مروان في ترسيخ عقيدة لدى قادة إسرائيل كانت أقوى من التوراة تؤكد أن مصر لن تحارب، ومن ثم باع للموساد معلومات خادعة، ومضللة قدرت بنحو ٣٥ مليون دولار.

هذه هي شهادة الصحفي الأمريكي الذي أشار إلى أن مروان لم يكن خائفًا حيث أبلغه أنه كان جنديًا ويعتزم الظهورعلى شاشات التلفزيون الأمريكي لكي يعلن على العالم حقيقة دوره في لقاء يجمعه مع هوارد بلوم وفقًا لما جاء في مقاله.

والسؤال الذي يلح على رأسي: هل كان سيظهر مروان ليعلن على العالم أنه كان خائنًا وعميلاً وجاسوسًا لصالح إسرائيل؟!!

أم كان سيوجه صفعة ولطمة على وجهها؟!

بالطبع كان سيوجه الصفعة لها بيد أن جهة ما تدخلت بطريقة أو بأخرى من أجل وقف هذا الاقتراح أظنها جهة استخباراتية إسرائيلية لكي تتجنب ضربة قاسية لم تعد تملك القدرة على تحملها..

أضف إلى ذلك أن الجهة التي طلبت منه ألا يظهر على شاشة التلفزيون لتوضيح حقيقة دوره هي نفسها الجهة التي أشار إليها (هوارد بلوم) التي راحت تعبث في أوراقه ومستنداته ومذكراته لحرق تلك الأوراق التي أشار فيها إلى دوره الوطني ضد إسرائيل.

شهادة زعيرا

إن إيلي زعيرا رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية (أمان) سيظل يشعر بالمرارة والفجيعة من لطمة أشرف مروان التي وجهها إلى جميع قادة إسرائيل وقد شعر زعيرا بالاشمئزاز من الخديعة التي مارسها مروان، ولا يزال يمارسها ضد قادة إسرائيل الذين انطلت عليهم حيلته الرهيبة.

حيث أكد في حديث للتلفزيون الإسرائيلي إن عميله (بابل) من أبرز ما نفذته المخابرات المصرية قبل وأثناء حرب أكتوبر حيث استطاعت زرعه في طريق ضباط التجنيد الإسرائيليين وإكسابه ثقتهم ثم تضليلهم بطريقة محكمة.

وأضاف إيلي زعيرا معلقًا على أسباب خلافه مع تسيفي زميرا رئيس جهاز الموساد الأسبق أثناء حرب أكتوبر:

«إنه من الثابت أن أشرف مروان رافق الرئيس المصري السادات في زيارته للملكة العربية السعودية للقاء الملك فيصل في أغسطس ١٩٧٣ والتي أخبر السادات الملك فيصل فيها بنيته شن الحرب قريبًا جدًا..

فلماذا صمت مروان كل هذا الوقت حوالي شهرين؟!

ولماذا لم يبلغ إسرائيل بالخبر سوى قبل اندلاع الحرب بساعات؟ بحيث تصبح المعلومة غير ذات قيمة؟!

ولماذا ضيع يومًا كاملاً وطلب لقاء رئيس الموساد في لندن، ولم يبلغهم الخبر بالتليفون أو في نفس البرقية التي طلب فيها تحديد الميعاد إذا كان فعلاً يعمل لمصلحة إسرائيل» (بحروفه من التلفزيون الإسرائيلي).

هكذا تحدث إيلي زعيرا الذي كان قد نشر من قبل كتابًا صدر بعنوان (الأسطورة مقابل الحقيقة .. حرب كيبور الإخفاقات والدورس) وقد تضمن الكتاب بكائيات زعيرا ومأساته الشخصية مع أشرف مروان لتتحول كلماته واعترافاته إلى شهادة موثقة بأدلة براءة أشرف مروان من اتهامات رئيس جهاد الموساد تسيفي زميرا الذي زعم وادعى أن مروان كان يعمل لحساب إسرائيل.

لقد تمسك زعيرا بموقفه رغم إعلان المحكمة الإسرائيلية أن مروان كان يعمل لصالح إسرائيل، وذلك لأن إسرائيل الدولة تحرص على تحسين وتلميع صورة المؤسسة العسكرية حتى في ذروة فشلها، وإخفاقها حتى يظل جيش الدفاع ومؤسساته الاستخباراتية كجهازي الموساد وأمان بهيبتهم ومكانتهم ونفوذهم في أعين الجيش الإسرائيلي.

إسرائيل الدولة تستطيع أن تشير بأصابع الاتهام إلى أي مسؤول مهما تعاظم قدره باستثناء المؤسسة العسكرية والتي كثيرًا ما تبرئ ساحتها أمام الشعب اليهودي حدث ذلك في حرب ١٩٧٣ حيث تشكلت لجنة إجراءات وبرأت الجيش من إخفاقه وضعفه وفشله وألقت بالمسؤولية على كاهل بعض الضباط المسؤولين فقط، وتكرر ذلك في حرب يوليو التي شنتها على جنوب لبنان في ١٢ يوليو ٢٠٠٦ .

إذن المحكمة الإسرائيلية حين أدانت إيلي زعيرا إنما أرادت أن تبرئ ساحة المؤسسة العسكرية ولا سيما أن جهاز الموساد يحظى بثقة هائلة في صفوف الشعب الإسرائيلي رغم الضربات المتوالية التي يتلقاها تباعًا على يد جهاز المخابرات العامة المصرية، ومن ثم وجب نصرته وتقويته ومؤازرته في تلك المحنة التي سببها لهم أشرف مروان.

إذن أشرف مروان -شاءت الصحف الإسرائيلية ومعها قادة الموساد أو أبوا جميعًا - كان مناورًاومخادعًا على أعلى مستوى حتى أضحى كما أشار الصحفي

الأمريكي هوارد بلوم (أخطر جاسوس في الشرق الأوسط).

وهو بالفعل كذلك حيث كان قد ألقى بشباكه على قادة إسرائيل الذين أطعمهم من طعمه حتى تمكن من اصطيادهم جميعًا واحدًا بعد الآخر، وعلى رأسهم رئيس الموساد الذي كان يلتقي به شخصيًا، ويسلمه مئات الآلاف من الدولارات نظير معلومات مضللة كان أغلبها يتسم بالصدق والموضوعية لحين تقديم المعلومات الكاذبة في الوقت المناسب.

لقد كان مروان جاسوسًا عبقريًا يقف من ورائه جهاز استخباراتي يتميز بالدقة والذكاء والمهارة والكفاءة والقدرة على اختراق الحديد على حد تعبير إيلي زعيرا الذي أكد في كتابه أن مروان اخترق الحديد!!

لم يكن مروان مجرد رجل ينقل معلومات عشوائية، بل كانت مدروسة، وتم بحثها وفحصها قبل أن يحملها إلى الذين خانهم ذكاؤهم وهزمهم غرورهم.

إن أحدًا من قادة إسرائيل لم يفكر : لماذا ظل مروان إلى جانب الرئيس السادات رغم انقلاب عائلة جمال عبد الناصر ورجاله على نظام حكمه؟!

لو أن إسرائيل فكرت لحظة واحدة في استمرار أشرف مروان وبقائه في رئاسة الجمهورية لاكتشفت الخطة الخداعية، لكنها كانت مأخوذة بنشوة النصر والوصول إلى غرفة نوم الرئيس جمال عبد الناصر، ومكتب خلفه السادات.

إذن أستطيع أن أتساءل بصوت عال.. هل كان موسى صبري وجلال الدين الحمامصي وعلي أمين يشنون هجومًا دفعتهم إليه المخابرات العامة من خلال معلومات مضللة لتلطيخ سمعة أشرف مروان كحلقة من حلقات مسلسل الخداع الاستراتيجي حتى تبتلع إسرائيل الطعم بأكمله ويتأكد لها أن مصر يمكنها التخلي عنه في أي وقت نظرًا لعدم أهمية دوره وهجوم الصحافة عليه؟!

إنني أكاد أجزم أن هجوم الصحافة المصرية عليه كان بالفعل خطة عبقرية

رسمها أنور السادات الذي كان يدافع عن أشرف مروان، ولولا ذلك لكان قد منع موسى صبري وغيره بالقوة من الهجوم على مروان حيث إن حرية الصحافة في عهد السادات لم تكن قد نضجت بعد، بل كانت ما تزال تحبو وتتلفت حولها خوفًا من قهرها مرة أخرى، ومن ثم لم يكن متعذرًا على السادات إرغام هؤلاء الكتاب على السكوت!!

المهم أن أشرف مروان كان صاحب دور وطني مخلص حيث أشار إليه السادات في حفل تكريمه كما أشار إليه الرئيس حسني مبارك عقب وفاته، لا سيما دوره البارز وإسهامه في توريد الأسلحة وقطع الغيار اللازمة إلى سلاح الطيران المصري بشهادة الرئيس السادات ومبارك.

أضف إلى ذلك أن اللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ أكد في حواره مع جريدة المصري اليوم الصادرة بتاريخ ١٦ / ٧ / ٢٠٠٧ أن أشرف مروان كانت علاقته مباشرة مع الرئيس السادات، وكنت قبيل وأثناء الحرب مديرًا للمخبريات الحربية والتي بدأت عملي فيها خلال الفترة من ١٩٧٢ وحتى ١٩٧٦ .

ولكن في هذه الفترة كانت جميع الأجهزة : (مخابرات عامة - مخابرات حربية) حتى الرئيس نفسه كانوا يشاركونه في تخطيط عملية المباغتة للعدو والتي اعتبرها السبب الرئيسي في انتصارات أكتوبر وعملية المفاجأة أو المباغتات أنواع منها مفاجأة استراتيجية وأخرى سياسية والأهم هي المفاجأة العسكرية.

ويضيف اللواء فؤاد نصار الذي تولى منصب مدير المخابرات الحربية ثم بعد ذلك مدير المخابرات العامة قائلاً:

«ما أعلمه عن مروان أنه كان شريكًا في صنع الخداع الاستراتيجي وأنا متأكد من ذلك، ولكن نوع العمل الذي قام به بالتفصيل لا أستطيع أن أحكم عليه».

واستطرد قائلاً:

«إن إسرائيل لها أهداف كثيرة من استغلال قصة مروان وتحويرها،ومن وجهة نظري إن حرب ١٩٧٣ كانت نقطة تغير كبيرة ورئيسية لهم في شكل تكوينها وأطماعها، ولذلك فهي تثير من وقت لآخر نوعًا من أنواع عدم الثقة والتقليل من شأن حرب أكتوبر».

ويؤكد نصار :

«إن أشرف مروان كانت له علاقة طيبة بجميع الحكام، وكان رجلاً دبلوماسيًا، وكانت له علاقة شخصية بالنسبة لهم، محبوبًا ومطلوبًا، ويستطيع تنفيذ العديد من الأشياء، وله دور في عملية الخداع الاستراتيجي».

أما الرئيس مبارك فقد استشاط غضبًا وتميز غيظًا من هؤلاء الذين رددوا عن جهل وسوء قصد نفس المزاعم التي روجتها الدوائر الصهيونية حيث صرح الرئيس قائلاً لرؤساء تحرر الصحف المصرية وهو عائد إلى القاهرة على متن طائرة الرئاسة الخاصة بعد حضوره إحدى المؤتمرات التي أقيمت في العاصمة أكرا عاصمة غانا:

«إن أشرف مروان وطني مخلص، قدم خدمات كثيرة للبلد، وما يقال عنه هو أمر مهين، وغير مقبول.. لقد ساعد القوات الجوية في حرب ١٩٧٣ أنا كنت مطلعًا على ذلك جيدًا، وربما لم يكن هو يعلم أنني أعلم، ولكني لست في حل من الكشف عن التفصيل .. هذه أسرار دولة».

وأضاف مبارك:

«أشرف لم يكن جاسوسًا وموعد الحرب الذي يتحدثون عنه لم يكن يعرفه سوى المختصين وفي دائرة محدودة ليس من بينهم أشرف مروان.. الموعد لم يكن يعرفه سوى الرئيس السادات ووزير الحربية ورئيس الأركان ورئيس العمليات،

وقائد القوات الجوية والبحرية والدفاع الجوي»:

«إن أشرف لم يكن جاسوسًا لصالح أي بلد... ولا أشك في وطنيته، وربما كان ما تعرض له في السبعينيات أنه كان صغير السن. وطموحًا وزوج ابنة عبد الناصر لكنه كان وطنيًا مخلصًا».

كان مبارك قد أدلى بهذه التصريحات لإظهار حقيقة مروان التي يعرفها مبارك جيدًا، ولو كان أشرف على العكس من ذلك لكان سهلاً على الرئيس أن يتجاهل الحديث حوله، وعنه حرصًا على سمعة مصر، وكرامتها، وشموخها.

أما بخصوص ما زعمه البعض من أن أشرف مروان قد نقل موعد حرب أكتوبر إلى سيفي زميرا رئيس الموساد في الخامس من أكتوبر فقد سقط من ذاكرتهم أن الرئيس السادات كان قد أصدر أوامره بإغلاق مطار القاهرة في هذا اليوم ثم أعاد فتحه للملاحة الجوية صباح السادس من أكتوبر ١٩٧٣ كخطوة من خطوات خطة الخداع الاستراتيجي، ومن ثم يتعذر على أشرف مروان السفر خارج البلاد في هذا اليوم، حتى وإن كان خروجه بموافقة ضمنية من السادات وهذا بالطبع لم يكن مقبولاً أو مستساغًا..

إذن أشرف مروان وكما قال مبارك لم يكن جاسوسًا لأي أحد، وبالتالي كان كما سبق لنا أن أشرنا مناورًا عبقريًا استطاع أن يضلل قادة إسرائيل بمعلومات مضللة وخادعة تهدف إلى ترسيخ عنصر الثقة حتى يتسنى له خداعهم عبر معلومات كاذبة مغلفة بمعلومات صادقة لا قيمة لها ، لعل أبرزها إبلاغه عن الطائرة الإسرائيلية التي كان ينوي بعض الفلسطينيين خطفها وتفجيرها وهو ما تأكد صحته في دلالة واضحة على ابتلاع الطعم، والسقوط المدوي في شراك الخديعة المصرية على يد الرجل الذي استطاع أن يقهر عدو زعم وادعى أنه لا يقهر..

فهرس الكتاب

قالوا عنه

شهادة فخامة الرئيس محمد حسني مبارك:

(إن أشرف مروان وطني مخلص، قدم خدمات كثيرة للبلد، ومايقال عنه هو أمر مهين، وغير مقبول .. لقد ساعد القوات الجوية في حرب ١٩٧٣ أنا كنت مطلعا على ذلك جيداً، وربما لم يكن هو يعلم أنني أعلم، ولكني لست في حل من الكشف عن التفصيل .. هذه أسرار دولة).

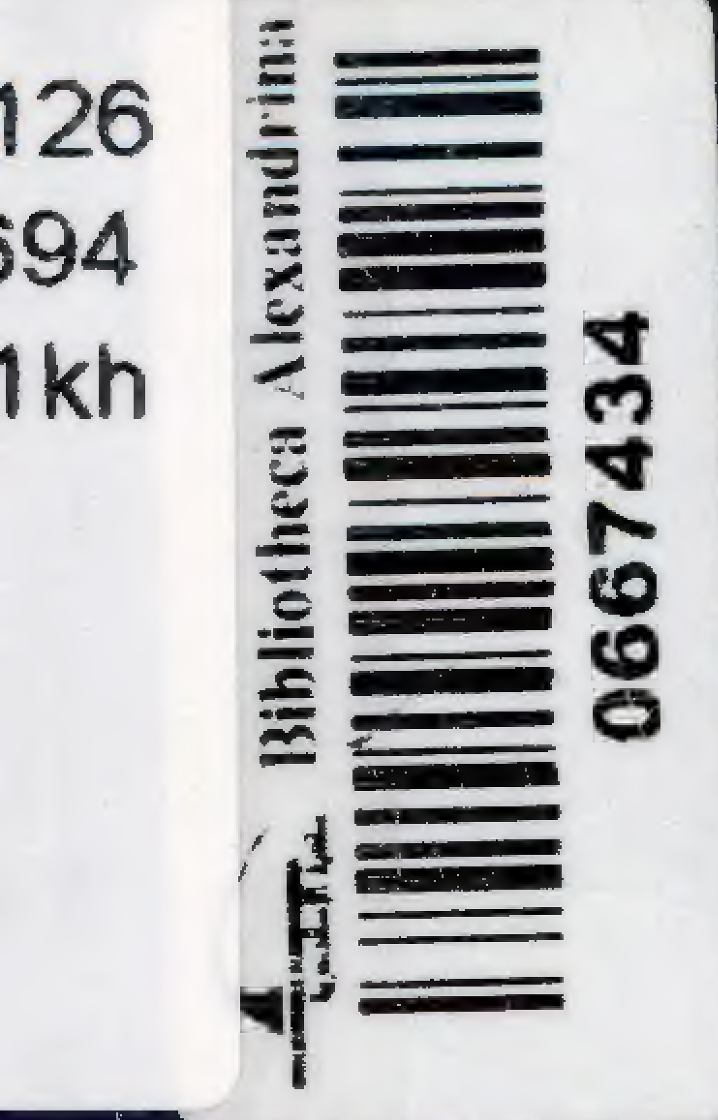
(أشرف لم يكن جاسوساً وموعد الحرب الذي يتحدثون عنه لم يكن يعرفه سوى المختصين وفي دائرة محدودة ليس من بينهم أشرف مروان ..).

شهادة الرئيس الراحل محمد أنور السادات:

(إنني أمنحك وسام الجمهورية من الطبقة الأولى تقديراً لما قمت به نحو بلدك .. خاصة أحلك الأوقات وأثناء معارك أكتوبر المجيدة .. ويجب أن يعلم الجميع أنه في الوقت الذي كانت فيه القوات الجوية في أمس الحاجة إلى قطع غيار لتقوم بمهامها القتالية .. كانت جميع المصانع في أوربا مغلقة فقمت أنت بمجهودك الشخصي في توفير قطع الغيار اللازمة لها .. مما مكن القوات الجوية من تحقيق مهامها القتالية بالكفاءة المطلوبة).

شهادة اللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية الأسبق:

(ما أعلمه عن مروان أنه كان شريكا في صنع الخداع الاستراتيجي وأنا متاكد من ذلك، ولكن نوع العمل الذى قام به بالتفصيل لا أستطيع أن أحكم عليه).




I.S.B.N. 977-436-101-6
9789774361012



مكتبة النافذة